الاعتصام

ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم

نجم الدين الواعظ

واعظ ومدرس جامع العساف
ورئيس جمعية رابطة العلماء
في العراق

مطبعة الأمة ـ بغداد

١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لك يا من نورت قلوبنا بنور المعرفة والايمان وشرحت صدورنا بانارة الاسلام ونور الفرقان فلك المنة على هذه المنة ولك الفضل والاحسان ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك في هذه الاكوان فسبحانك من اله مدبر حكيم عظيم الشأن وصلاة وسلاما على سيدنا محمد المؤيد بساطع البرهان المتحدي بدلائل اعجاز القرآن القائم بالمعجزات البينات الظاهرات للعيان القاطع شجرة الكفر وقامع ظلام العصيان الذي نسخ بدينه الحنيف سائر الاديان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نشروا لواء العدل والعرفان وحاربوا الشك والشرك والطغيان وابادوا دولة كسرى وقيصر وفتحوا الايوان وغاظوا الكفر وقاوموا العدوان كما وصفهم ربهم بآي القرآن صلاة وسلاما دائمين على ممر الدهور والازمان .

أما بعد فان الواجب الاسلامي يحتم على كل مؤمن ومؤمنة ان يتمسك بأهداف هذا الدين الحنيف الذي من الله تعالى بهدايته على الامة المحمدية وان نعض عليه بالنواجذ لانه الوسيلة الوحيدة الكبرى للنجاة في الحياتين والواسطة العظمى لنيل السعادتين وأنه نظام الحياة وحياة الشعوب والامم والاقوام وهذه حالة الامة العربية قبل الاسلام كيف كانت وبعده كيف أصبحت ولما تبدلت في أواخرها حالة المسلمين الاخلاقية والعقلية بدل الله ما لديهم من عز وشوكة فلابد لنا من الرجوع الى الدين والقرآن والى تعاليم أسسه القوية القويمة الاركان وانه لن يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها فأنه الوسيلة المتيقنة لحفظ حقوق الامم وتأمين راحة المجتمع من حفظ الاموال

والارواح وحقن الدماء وصيانة الاعراض والصحة من الامراض وسلامة الاخلاق كيف لا وانه السبب الوحيد الداعي الى المكرمة والفضيلة

المحارب لكل رذيلة وان التباعد عنه وعن تعاليمه وأحكامه وشمائله الحسنة هو السبب الاصلي لتدهور الاخلاق وسقوطها الى حضيض الاسفال والادبار وأختلال الامن الواجب علينا رعايته ومحافظته .

هذا وان الواجب على الامة أجمع حكومة وشعبا ان تعتني بدراسة الدين لاولادنا وفلذة أكبادنا الذين هم أمانة الله في أيدينا في جميع مدارسنا وكلياتنا وجامعاتنا تدريسا حقيقيا بطريق العلم والحكمة والفور في فلسفة التشريع الاسلامي لنكون قد أدينا هذه الامانة المنوطة في رقابنا ولانه أقرب قبولا لعقولنا ومدركاتنا ذلك لان هذا الدين قد تلقته العقول بالقبول وأستظهرو آياته الحقة على صفحات قلوبهم ولابد له من يوم يكون دينا عالميا في الكرة الارضية أجمع كما نص على ذلك علماء الغرب وفلاسفتها في كتبهم ومجلاتهم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

مركز الدين الاسلامي في المجتمع البشري :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به أبراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدي أليه من ينيب » . (الاية الكريمة) .

اذا ذكر الاسلام أو الدين أتجهت نفوس البشر الى ذلك الناموس الالهي الذي جاء به النبي الكريم الذي أنقذ العالم من الضلالة واستخرجهم من غياهب الجهالة وعرج بهم الى أوج معارج الكمالات وارتقى بهم الى أعلى رتب المقامات فكمل الله به النوع البشري فيما يخصهم به في حياتهم ومعادهم كما أخبر الشارع القائل (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ذلك الدين الذي ظهر أشعة نوره من مشكاة غار حراء على وجه البسيطة حتى عبق من طيب شذا ذلك الناموس الالهي العالم اجمع

فأصبحت تلك الامة الامية بعد ذلك الجهل المطبق أمة ذات أهمية كبرى بين ظهراني الامم علما وحضارة ومدنية وفلسفة وشريعة ودولة وخلافة اذعن لها العالم بأسره .

ولقد اسفر الصبح لذي عينين ان الدين ضروري للبشر واعني به دين الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها الدين المتجافي عن جانبي الافراط والتفريط وهو الذي أرتضاه الله للامة الاسلامية دينا بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

ولو انا حكمنا ذوي العقول السليمة وذوي الطباع المستقيمة لاجمعوا على ان حاجة الانسان الى سفارة الانبياء والرسل انما هو من مقتضيات العقول البشرية وان منزلتهم من العالم كمنزلة الروح من الجسد وان الحاجة ماسة الى النظام الالهي كحاجة المريض في طلب الشفاء الى الدواء أو كحاجة الظمأن الى الماء لحفظ صحته وحياته هذا وان مبدأ الاسلام مبني على أمرين عظيمين الاعتقاد بوحدانية الله تعالى والاعتراف برسالة محمد (ص) ولا يقبل الله الايمان الا بهما قال تعالى (~~يا أيها الذين آمنوا~~ آمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير) « سورة التغابن » .

فيجب الاعتراف بان الله العالم واحد أزلي أبدي واجب الوجود لذاته وهو أساس الدعوة التي قام بها رسول الله نفسه وسفراء الرسل قبله بتقديس ذات اله واحد غني عن العالم بأسره وعن كل برهان يدل على وجوده ووحدانيته فان الموجودات بأسرها والمؤثرات بعمومها شاهدات صدق على وجود الموجد والمؤثر الحقيقي أعني القوة القاهرة التي لا قوة فوقها وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

الايمان بوجود الله سبحانه وتعالى :

اجمعت العقول الصحيحة وأخبرت الكتب السماوية المنزلة

والمؤيدة بالمعجزة وخوارق العادة بأن هذه المكونات والمخلوقات والمحدثات والموجودات والمصنوعات والمصورات لابد لها من مكون وخالق ومحدث وموجد وصانع ومصور اذ من الممتنع المحال عقلا وطبعا ان يوجد شيء من الاشياء الا وله موجد انشأه من العدم الى الوجود وانا نجد بالضرورة والحدس والبداهة حركة متقنة تجري تحت نظام متقن للاجرام العلوية والسفلية وليس ذلك الا برهانا قاطعا ودليلا ساطعا على وجود محركها وهو الله تعالى (بديع السموات والارض) أي فاطرها وموجدها على نظام بديع لا يختل نظام حركتها قيد شعرة والا لاختل النظام وتصادمت الاجسام ولزم الكون والفساد (واذا قضي أمرا فأنما يقول له كن فيكون) . « سورة البقرة » .

الايمان بوحدة الله سبحانه وتعالى :

كل ذي طبع سليم وعقل مستقيم يعلم علما بديهيا بان صانع العالم واحد في ذاته واحد في صفاته وأفعاله وأنه قديم ازلي أبدي وهو الاول والاخر والظاهر والباطن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انشأ الكائنات وصور المخلوقات على حسب علمه وقدرته وأرادته لا يشاركه ولا يعارضه فيها ولا يماثله أحد لانا نجزم بالبداهة ان لو كان للباري تعالى شريك لكان له السلطان والغلبة والعظمة وهذا شأن كل اله فلا يخلو الامر أما ان يجتمعا على أيجاد شيء فيلزم توارد المؤثرين على الاثر الواحد وهذا امارة العجز والضعف وهذا لا يليق بذات الاله وأما ان يتصرف كل واحد من الالهين على حدة حسب قدرته وطاقته ولا مرجع لنفوذ ما يريده الاخر لزم الكون والفساد أي فساد نظام العالم وأمتنع امكانه فضلا عن وجوده قال تعالى (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) . وقال بعض السلف الهي متى غبت عن العين حتى تحتاج الى شاهد يدل على وجودك وسئل بعض العلماء بم عرفت ربك قال كيف لا أعرفه وان البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير فأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج وسماء ذات ابراج افلا يدل ذلك على السميع البصير .

وقال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون سورة الفتح) . من ابدع الكون كعقد نظيم واودع الذر نظام السديم طبيعة عمياء جهلا تهيم انى لهذا النظام القديم اجل انما هو بديع السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء فقدره تقديرا وهو بكل شيء عليم

وقال تعالى (ومن اعرض عن ذكري اي عن الايمان بوحدة الله فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) .

(قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى . سورة طه .

الا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تسكينة وتحريكة ابدا شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

الايمان بحدوث العالم :

العالم بجميع اجزائه محدث اذ هو اعيان واعراض وكل منهما يطريء عليه العدم ومسبوق بالعدم أيضا وهو دليل الحدوث لان ما ثبت قدمه استحال عدمه ولا قديم بذاته وصفاته الا الله تعالى وما سواه حادث ومفتقر في وجوده اليه تعالى أما حدوث الاعراض فانا نشاهد حركة بعد سكون وضوئا بعد ظلمة وسوادا بعد بياض وليس هذا الا امارة الحدوث وأما الاعيان فأنها معروضة للعدم ولو كانت قديمة لما انعدمت وكذلك باقي الموجودات من السماوات والاجرام والكواكب والنفوس والعقول العشرة والارواح

المجردة فإن انعدامها جائز عقلا ونقلا وما يجوز عليه العدم استحال عليه القدم بخلاف القديم بالذات فأنه لم يسبق بالعدم وانه واجب الوجود لذاته وما كان كذلك كان وجوده ضروريا وعدمه محالا لانه يلزم من فرض عدمه عدم وجود الممكنات بأسرها ويلزم من انعدام العلة انعدام المعلول والحاصل ان كل ما يطريء عليه العدم اما بطريق الامكان والجواز او بطريق المشاهدة وكل ذلك حادث فالعالم بجميع اجزائه ما سوى الباري تعالى حادث مسبوق بالعدم ومآله الى العدم وما ثبت له القدم امتنع عليه العدم .

ومن هو المحدث للعالم :

المحدث للعالم هو الله تعالى الفاعل بالاختيار الموجب القديم ليس بعرض ولا جوهر ولا متجزيء ولا متبعض ولا يتمكن في مكان ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء ولا يخرج عن عمله وقدرته شيء قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) .

وللباري تعالى صفات أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى وهي عشرون صفة ثمانية منها تسمى صفات الذات لان معانيها قائمة بذات الله تعالى وهي العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والتكوين وهي ليست عينه ولا غيره كالواحد من العشرة فأنه ليس عين العشرة ولا غيرها اي لا ينفك عنها وستة منها تسمى الصفات السلبية لان ضدها نفي وسلب عن ذات الله بما لا يليق به تبارك وتعالى وهي الوجود والوحدانية والقدم والبقاء والقيام بالنفس ومخالفة الحوادث والباقي من الصفات تسمى صفات معنوية نسبة للمعاني لانها تلازمها في القديم وتنشيء عنها في الحادث وهي الستة الباقية كونه قادرا وكونه مريدا وعالما وحيا وكونه سميعا وبصيرا ومتكلما فهذه الصفات

واجبة في حقه تعالى واعتقادها واجب على كل مكلف لان ما يتوقف عليه الواجب لا يكون الا واجبا ويستحيل عليه تعالى عشرون صفة ضدها أي ضد هذه الصفات المذكورة ويجوز في حقه أمر واحد وهي صفات الافعال أي التي يتصف الباري تعالى بها وبأضدادها بان يخلق الهداية لعمرو والغواية لزيد والرزق لفلان وعدمه لاخر وكذلك الاحياء والامانة وأمثال ذلك .

ويجب في حق الانبياء عليهم السلام أربعة الصدق والامانة والتبليغ والفطانة ويستحيل في حقهم الكذب والخيانة وكتمان ما أمروا بتبليغه والبلادة والجائز في حقهم وقوع الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية .

ان من الجائز في حقه تعالى ارسال الرسل :

الرسول هو السفير بين الخالق والخلق لتبليغ الاحكام السماوية من الاوامر والنواهي وبيان الحسن من القبيح والضار من النافع ليزيل الله تعالى علل ذوي الالباب والعقول من خليقته فيما قصرت عنه عقولهم ولاريب في ان الاديان السماوية قد تلقتها العقول بالقبول الا العرق النجس المكابر الذي لا تفيده الحكمة ولا الموعظة الحسنة فلابد من قلعه فالذي ندين الله تعالى به ان في أرسال الرسل حكمة وقد ارسل الله تعالى رسلا من البشر الى البشر مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون اليه من أمر الدنيا والدين وأيدهم بالمعجزات وخوارق العادات تصديقا لما جاءوا به من عند الله تعالى كما وقع لموسى ابن عمران عليه السلام من قلب العصى ثعبانا وابراء الاكمة والابرص واحياء الموتى باذن الله لعيسى عليه السلام وانشقاق القمر وكلام الجماد والعجماء وحنين الجذع اليابس وتسبيح الحصى بيده كما وقع لمحمد (ص) وأمثال ذلك من المعجزات الجمة التي لا تحصيها صرير الاقلام والتي لا تظهر الا لمن يدعى النبوة والرسالة عند تحدي اي طلب معارضة المتكرين عن الاتيان بمثله تصديقا لدعواه واعظم معجزة

لرسوله الاكرم هو القرآن العظيم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ذلك الكتاب الذي اعجز البلغاء والفصحاء والحكماء والشعراء في أحكامه ونظامه وفصاحته وبلاغته وسياسته وأدارته فنادى غير مرة في نوادي قريش قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وأدعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فلم يجبه أحد ثم صرخ ثانيا وثالثا قل فاتوا بسورة من مثله فلم يعارضه أحد مع جد المخالفين له الى ان قال لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

الايمان بالقرآن وبالكتب المنزلة !

(يا أيها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا) .

الايمان بالكتب المنزلة من التوراة والانجيل والزبور والفرقان حق وأعتقاد حقيتها واجب أنزلها الله تعالى لسعادة البشر وتأمين راحتهم وحفظ نظامهم وصيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم وسلامة صحتهم واخرها نزولا القرآن وهو كلام الله تعالى المحفوظ في صدورنا المكتوب في مصاحفنا المقرؤ بالسنتنا غير حال فيها وهو المراد بقولهم النظم المنزل على رسولنا محمد (ص) المنقول عنه تواترا المشتمل على الاحكام السماوية بأسرها من الامر والنهي والوعد والوعيد فما أمر به القرآن كان حسنا لذاته وما نهى عنه كان قبيحا ومضرا . نزل به الروح الامين على قلب الرسول الاعظم منجما أي مفرقا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على لغة قريش وأنه النظام الالهي السماوي والقانون الاساسي المتضمن لسعادة البشر وتأمين حقوقهم وراحتهم دنيا ودينا وآخرة مشتملا على الاعجاز ومنتهى الفصاحة والبلاغة وقد شهد بذلك عدو الاسلام الوليد بن المغيرة بقوله ان فيه لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اوسطه لمغدق أي جامع وان أسفله لمعجز والله ما هو

بقول البشر ذلك الفرقان الذي جاء بالاحكام العامة للاعتقادات والعبادات والمعاملات الجامعة للاحكام التأديبية من القصاص والحدود والسياسات وجميع ما يتعلق بأمر الدنيا والدين فنالت به الامة الاسلامية في مدى سنين قليلة من بسطة العلم والملك مالم يتهيء لغيرها في مثل ذلك الزمن القصير الامد فقد بشر وانذر ورغب ونفر ووعد واوعد وبنى وهدم وقوى ووهن ووصل وقطع واخذ بذويه الى المكانة العليا ونهج في تربية الانسان منهجا قويا قويما فخاطب العقل وناجى العواطف وادب الحواس وهذب الملكات وحاسب السرائر وآخذ الضمائر وقرر العقائد وقاد الكتائب ودوخ الممالك وفوض عروش الاكاسرة والقياصرة ومصر الامصار وشيد المدنية الفاضلة وسن الشرائع الكاملة وقاد الامم الى خيرها وصلاحها وسلامتها ونجاحها ونجاتها وهو الذي رفعه بيده رئيس وزراء الانكليز المدعو اغلادستون قائلا لا يمكنكم هدم بناء صرح الاسلام مادام هذا القرآن قائما بين ظهرانيهم ولولا سمو تعاليم هذا الكتاب المقدس وقوة متانته لما عبر طارق بن زياد البحر الابيض المتوسط ولما أصبحت رايات الاسلام ترفرف على شاطىء بحر الاطلانتيك ولا كان زعيمها العظيم عقبة بن نافع يخاطب البحر الابيض المتلاطم الامواج ولا ركز قتيبة بن مسلم الباهلي لوائه على أسوار الصين ولما أجتاز محمد الثقفي بلاد الهند ولا رفرفت اعلام الموحدين على بلاد الاندلس هذا هو هدف كتاب الله تعالى المقدس ومصداق ذلك ما قاله (ص) القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه قاده الى النار وقال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

وما هو حقيقة الايمان والاسلام :

الايمان هو الاقرار باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان وهو الموافق لقولهم الاعتقاد والتصديق بحقية ما جاء به رسول الله (ص) والاقرار به واذا فسر الاسلام بالاذعان والتصديق القلبي فلا فرق بينه وبين الايمان وهذا هو معنى الايمان الاجمالي أما الايمان التفصيلي فهو ما ذكره (ص) بقوله ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن

بالقدر خيره وشره ويزداد الايمان بزيادة ثمرته واشراق نوره وضيائه في القلب بزيادة الطاعة وينقص بل ينطفيء نوره ويغشاه الرين والظلمة بالمعاصي وكفران النعم قال :

وأيماننا قول وفعل ونية ويزداد بالتقوى وينقص بالردي

وقد سئل عليه السلام هل يزيد الايمان وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار والايات صريحة في ذلك منها قوله تعالى (ليزدادوا أيمانا مع أيمانهم) وقوله (ايكم زادته هذه أيمانا) فمن صدق بلسانه ولم يقر بقلبه أو صدق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام وسلمه واقر به وعمل به ومع ذلك سجد للصنم أو انكرا أمرا معلوما من الدين بالضرورة فليس بمؤمن (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فالتصديق والاذعان لا يحتملان السقوط أصلا لا في الاضطرار ولا في الاختيار أما الاقرار فأنه يحتمل السقوط حالة الاكراه والاضطرار ويجوز له اجراء كلمة الكفر على لسانه وقلبه مطمئن بالايمان كما وقع لعمار ابن ياسر رضي الله عنه حين قتل مشركوا مكة أباه وامه وأجبروه على سب الرسول عليه السلام وكانت الحادثة المذكورة السبب لنزول الاية الكريمة (من كفر بالله من بعد أيمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وقال تعالى (افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين) .

الايمان بالبعث بعد الموت :

اذا أراد الله تعالى ان يبعث الخلق للحساب وفصل الخطاب أعاد تكوين الذرات الانسانية التي هي الاجزاء الاصلية للانسان واذا تصورنا سعة علم الله تعالى وعظم قدرته واثارهما في الكائنات لا نستبعد شيئا من ذلك سواء أكان ذلك بواسطة نواميس وضعها الله

لذلك تجري عليها جميع تلك الاتصالات والانفصالات والتكونات للاجزاء الاصلية أو بدون تلك النواميس فان القادر على انشاء هذا العالم من العدم الى الوجود بدون سبق مثال قادر على جميع تلك الاجزاء المتفرقة وأعادة صورها وأشكالها وان هذا غير مستحيل في نظر العقل وليس هذا هو أعادة المعدوم بعينه كما تقوله الفلاسفة وانما هو أعادة الموجود وهو أهون عليه تعالى وانه جميع الاجزاء المتفرقة كما وقع لسيدنا ابراهيم عليه السلام والايات القاطعة والنصوص المتواترة قاطعة عرق الشرك والالحاد في أمر البعث والنشور قال تعالى (ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا . أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) وقال تعالى (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير) ومهما يكن من أمر فان قياس المعاد على المبدأ أمر يجوزه العقل ولا يستبعده واذا جاز عقلا اصبح الاعتقاد به واجبا وانكاره كفرا بأجماع المسلمين وغيرهم من أتباع الكتب السماوية بأسرها سوى أنهم يعتقدون بالحشر الروحاني فحسب وقد علمت ما ذكرناه من الادلة من ان البعث بالروح والجسد معا وأنه أدل على كمال القدرة الالهية ومقتضى الحكمة والعدالة الربانية تقتضي ذلك وانه تعالى يجمع الخلائق في يوم الدين أي الجزاء وفصل الخطاب وأخذ حق المظلوم من الظالم وانه ليقتص من القرناء للجماء وهو منتهى العدل والحكمة في ذلك اليوم يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وانه ليجازي المحسن على احسانه والمسيء على اسائته (لتجزي كل نفس بما تسعى) .

قال المنجم والطبيب كلاهما   لا تحشر الاجساد قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر   أو صح قولي فالخسار عليكما

الحقيقة الانسانية :

لا يخفى على كل ذي لب سليم وعقل مستقيم ان المخلوقات ثلاثة اقسام الاولى منها العقول المجردة عن الشهوة وعن المادة وهم أصناف

الملائكة ومنها شهوة بلا عقل وهي سائر الحيوانات العجم ومنها شهوة مع العقل وهي الحقيقة الانسانية وعليها مدار التكليف الشرعي . فالعقل الانساني هو أول الكمالات الحقة الدالة على عظم الصانع وعلو قدرته التي لا يقدر عليها سواه وغيره . قال تعالى وفي أنفسكم افلا تبصرون وقال سبحانه ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم قال بعض العلماء ان هذا التقويم الحسن اعتدال قامته وايصال الطعام بيده الى فمه دون غيره من سائر الحيوانات وقال بعضهم احسنيته بأجتماع خواص الكائنات من المجردات المضاهي لها بروحه والماديات المحاكى لها بجسده فكان الانسان مجمع الغيب والشهادة ومقر الوجودات العلوية والسفلية والى ذلك يشير بعض كلام السلف :

دوائك فيك وما تشعر ودائك منك وما تبصر

وتزعم أنك جسم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

ومنهم من قال احسنيته من جهة تركيبه من لطيف كالروح وكثيف كالجسد فيكون كالمرآة القابلة لانعكاس ما يقابلها من المرئيات بخلاف الملك فأنه مخلوق من لطيف فقط فكان كالزجاجة الشفافة ليس فيها قابلية الانعكاس وأيضا لو أمعنت النظر في الحقيقة الانسانية لعلمت ان العالم قد ظهر فيه ظاهرة وخافية وذلك ان الانسان جامع للحقائق الكونية اذا لم توجد صورة من اجزاء العالم الا وفيه نضيرها كالنماء موجود في شعره وأظفاره وكما ان في العالم ماء مالحا وعذبا وزعاقا ومرا فالمالح في عينه والعذب في فمه والزعاق في منخره والمر في اذنه وكما ان في العالم ماء وترابا ونارا وهواء كذلك هذه العناصر الاربعة موجودة في الانسان وفي تكوينه والى ذلك ذهب الحكماء الاول وتسمى الاستقصات أي الاصول الاربع ومنها تكون الانسان والاصح ما ذهب اليه المتكلمون والحكماء المتأخرون ان الانسان مؤلف من الجزء الذي لا يتجزأ او من الدرات التي لا تقبل القسمة والتجزئة لذاتها ..

والمآل واحد . وان اعلى بلاغة وأسمى فصاحة وايقن دلالة ما ذكره الباري تعالى في كتابه المقدس (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسون العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (صدق الله العظيم) .

وكما أن في العالم عيونا جارية وأمطارا هامية وسحبا متوالية ففي الانسان أيضا عيون جارية في عينه وفمه وأنفه وفيها بخار البدن يجري مجرى السحاب وعرق يجري مجرى المطر وعروق تجري كبارها مجرى الاودية والروح لاهوتية والنفس ناسوتية ورأسه كالفلك وروحه كالشمس وعقله كالقمر وظهره كالبر وبطنه كالبحر وصوته كالرعد وضحكه كالبرق وشعره كالنبات ولحمه كالارض الرخوة وعظامه كالجبال ودمه الجاري في جسده كالمياه الجارية فسبحان الملك العظيم الذي خلق الانسان في أحسن تقويم سوى ان الانسان اليوم لم يصرف نظره وفكره الا في شهواته ولذاته معرضا عن أدراك حقيقته التي هو بها هو لذا يقول تعالى موبخا له (قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فأقبره) .

الاسلام دين خالد :

قال سبحانه وتعالى (وان هذا صراطي مستقيما فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

وقال النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم : (لن يصلح أمر آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها) .

لقد علم كل من سبر تاريخ الامم على أختلاف الطبقات والشعوب والنزعات ولاذعن وأيقن بان الدين الاسلامي هو الصراط المستقيم كيف لا وانه بناء عظيم وصرح قويم لا تضعفه مكائد المستعمرين ولا توهنه دسائس المبشرين ولولا متانة هذه القوة والجسامة لاندك عرشه منذ الحروب الصليبية ومنذ هاجم المغول بلاد الاسلام وأعلنوا القتل العام

فقالوا لقد أنطوى بساط الاســـلام فلاتقوم له قائمة بعد اليوم ، ولكـــن بعدما مضى برهة من الزمن الا وعـادمجده كما بدأ وبعد ان توغل المغــول في البلاد الاسلامية وسبروا الديــن الاسلامي ومحاسنه تلقته عقولهــم بالقبول واستظهروا آياته الحقة علـى صفحات قلوبهم واعتنقوه وجعلـــوا دستوره وأحكامه أعظم مقدس لديهـم وجاهدوا أعداءه حق جهاده وظهــر لديهم بأجلى الادلة بــان الديــن الاسلامي الـــذي عنوانه (لا اله الا الله محمد رسول اللـــه) وحلبتاه التوحيد والتنزيه بأخص معانيهما هــو الدين الحنيف الـــذي سيئوب اليه المفرطون والمفرطون جميعا ولا ديـــن أحرز هذه الصبغة الالهية ســـوى الاسلام الذي جاء يدعو الناس اليـه المصطفى محمد صلى الله عليه وسـلم فمحمد صلى الله عليه وسلم هـــو البدر المتلئلأ في أفق العالم الانسانـي والسراج المنير المنتخب للســـفارة الالهية في تبليغ الاحكام الشـــرعية للامم البشرية ولكنه عليه السلام لاقى أهوالا عظاما وخطوبا جساما من بنـي قومه وجلدته وكان الجـــو العالمـي يومئذ متلبدا بغيوم متكاثفة كان دعـاة الشر أكثر من دعاة الخير وكـــان دينهم وئد البنين والبنـــات وديدنهم قبح العادات أدميت لها القلوب وتراخا فيها نظام العالم كان يقتل بعضـــهم بعضا ويغزو بعضهم بعضا حتـــى ان الحروب التى كانت قائمة بـين الاوس والخزرج دامت مائة وعشرين سنه الى ان ظهر داعي الخلق الـــى الحـــق والسالك بالامم الى طريق الفضـــل والفضيلة والمكرمة والشمم ومنقـــذ الامم من غياهب الظلم ظهر بواد غير ذي زرع ونشأ بين تلك الرمال القاحلة والجبال الشاهقة وبين أمـــة أميـــة خالية من العلوم والمعارف وأكثرهـــم من رعاة الابل فنشر بين ظهرانيهـــم دينا وشريعة وثقافة وانشأ أمة ودولة وخلافة أرجفت العالم بأسره حتـــى قال هرقل ملك الـــروم وكان حزاء ينظر في النجوم ـ بعد ان قرأ كتاب رسول الله ـ ان هذا الرجل سيملك موضع قدمي هذا ولو كنت أعلم انـي أخلص اليـــه لغسلت عـــن قدميه ؛ وأصبحت جزيرة العرب المســـتعمرة المستعبدة بين يدي الحبشة تارة وبين الفرس أخرى تنادي بالاســـتقلال وتصدع بكلمة الله أكبر اللـــه أكبر لا اله الا الله وليست هذه الاعمـــال المبتكرة الا تأييـــدا الاهيا وعنايـــة سماوية وقدرة ربانية ودليلا واضحا

على صحة نبوته ورسالته لانها ممـا يعجز عنها نطاق البشر فكانت بعثته ورسالته من اجل نعم الله على خلقه (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أي عربيا من جنس البشر (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقرأ بعضهم من أنفسهم بفتح الفاء أي أشرفهم حسبا ونسبا وكذلك الانبياء تبعث من أشراف قومها وخيارها .

وأما الاسلام فانه دين عميق وتكوين دقيق وعمل متواصل ، قانونه الرحمة ودستوره الشفقة ونظامه الوحدة والاخوة والمحبة وهدفه الطاعة لله ولرسوله وصالح المؤمنين .

وأنه دين ودولة وعدل ونظام وحكم واحكام وخلق وأخلاق وعزة وجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذير وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا) فالدين الاسلامي هو دين الله العالمي في أرضه وسمائه ولن يقبل الله للخليقة دينا سواه (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين) لكن لا يخفى على من نور الله بصره وبصيرته ولم يجعل على بصره غشاوة بان أسباب الضعف الذي انهار به الاسلام في القرون الاخيرة انما هو من كيد أعداء الاسلام الذين كانوا يسعون لانفصام حلقة تلك الرابطة الاسلامية التي وضع أساسها صاحب الشريعة الاسلامية وشيد بنائها خلفاؤه الراشدون ثم لم يزل ذلك البناء العظيم يشاد من جهة وينهار من جهة أخرى حتى تلاعبت به أيدي العابثين من رجال التبشير والطمع ولولا انه صرح مجيد وأساس قوي عميد لتهدمت أركانه وأنهارت دعائمه من كل صوب وجهة والعياذ بالله تعالى فقال سبحانه (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وقال (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم

أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون) أجل ان هذا العدو الماكر قد مد يده اليمنى للمصافحة بأعتبارأنه صديق مسالم ولكنه يرخي لك اليد اليسرى للصدمة والطعن في الصميم وطفق ينادي في كل نادي ويسعى هذا الجاحد الملحد بسحره الباطل وكيده المملؤ خبثا وضلالا بين ضعفاء العقيدة والايمان بان الدين الاسلامي مانع من التقدم ومن الرقي والحضارة والمدنية وأن التقدم انما هو برفض الاديان السماوية ولكنك ان أمعنت النظر بعين الحقيقة والبصيرة لوجدت هذا القائل لا ينفك عن الكنيسة قيد شبر ، واليك حادثة أدورد السادس وأنفصاله عن العرش البريطاني ليس الا لمخالفته لحكم الكنيسة .

فأين هذا من ذاك يا ضعفاء العقيدة (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وقد أنكشف لدينا أخيرا بأنهم حين فشلوا في الحروب الصليبية كروا الرجعة على الاسلام بحروب صليبية أخرى يبث سمومهم القاتلة في مدارسنا وكلياتنا وجامعاتنا وبث الخلاعة والدعارة بالطرق السلمية في بلاد الايمان والتوحيد آملين الوصول الى غايتهم التي يأملونها ولكنهم خابوا وخسروا فان للبيت ربا يحميه ، فان تجرد عن الدين فرقة شاذة رأيت المعتنقين لهذا الدين الملايين من العالم بلا مال ولا تبشير (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) بيد ان هذا العالم مهما تقرب الى الحقيقة وانكشف لديه محاسن هذا الدين القويم تلقته عقولهم بالقبول بلا مشوق ولا مرغب ذلك لانه دين الفطرة دين العقل دين يدعو الناس الى وحدة الاله ودعائمه الصدق والعفاف والاباء والمروءة والانصاف والوفاء بالوعد والعهد والعدل ومحاربة الظلم والغدر والخيانة (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظم لعلكم تذكرون) وحين سمع هذه الاية عثمان بن مظعون رضي الله عنه جاء واسلم وقال : ينبغي لصاحب هذا الكلام ان يكون الها ، واليك ما قاله

الفيلسوف الانكليزي المدعو بورنادشو : أن دين الاسلام بعد دراسته سيصبح دينا عالميا لجميع كرة الارض ، وما كتبه الفيلسوف (كارليل) صاحب كتاب الابطال من التحليل الدقيق والبحث النفيس الانيق عن عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك صاحب كتاب الاعتذار عن دين محمد والقرآن المدعو (جيان دبون بورت) ومؤلف كتاب (الرسول) المدعو (بودلي) وهو عين ما قاله الفيلسوف الروسي الاصل المدعو تولستوي ، وكذلك ما كتبه غيرهم من الفلاسفة والعلماء والكتاب الاجانب والفضل ما شهدت به الاعداء ومع تحمله لهذه الصفات السامية فانه يدعو الناس الى تصديق الانبياء والرسل والايمان بقداسة الكتب السماوية المنزلة (لا نفرق بين أحد من رسله) ، (وتؤمنون بالكتاب كله) فقد مد الاسلام يد المصافحة والسلم مع كافة الامم على أختلاف طبقاتها ومذاهبها وصدق برسالة أنبيائهم واذعن لاحكام كتبهم وان شرائع من قبلنا شرع لنا اذا قصها الله علينا بلا نكير وان الفرقان العظيم جاء مصدقا لما أدعته الانبياء والرسل ، فقال سبحانة (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلدون) وأما النسخ لبعض الاحكام الفرعية فليس الا عدلا من الله تعالى وحكمة ولا يلزم منه البداء على الله تعالى ولكن الاحكام تختلف بأختلاف الازمان فان البعض منها ان أمكن تطبيقها في زمن لا يمكن تطبيقها في زمن آخر حسب ما تقتضيه الحكمة الالهية قال تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فأستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) ان الدين الذي جاءنا به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم من عند ربه دين لا يسوغ للعالم أجمع ان يتعبد بدين

سواه اذ هو ارتضاه الله تعالى لاهل الايمان دينا وأكمل به نعمته على خلقه ذلك الدين الذي ظهرت أشعة نوره على الخافقين من مشكاة غار حراء فتعطر الكون من شذا طيب ذلك الناموس الالهي الذي نقله الينا نسيم الاثير من أرض طيبة ووادي العقيق فعم طيبه وعبق ريحه وانتشر شذاه حتى عم الخافقين وطفق ينادي ويدعو الناس الى توحيد الكلمة والى عبادة اله واحد فرد صمد ليس له نظير ولا شبيه ولا معين في عالم الموجودات منزه عن سمات النقص والعجز (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) هذا ولعمر الحق هو جزء من الف جزء من محاسن الدين القويم وانك بعد ان أمعنت النظر فيه رأيت العدل والانصاف والاباء والمرونة تلوح على جبينه لا يقول الا عدلا ولا يحكم الا فصلا .

جاء الاسلام بقداسة الانبياء والرسل ونزاهتهم وعصمتهم قبل النبوة وبعدها وهو الذي برأ ساحة مريم وقدس رسالة عيسى عليهما السلام وانه رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وامر امته بتصديق رسالة عيسى وقداسة الانجيل ولو أنهم انصفوا لكانوا أول أمة صافحت يد محمد (ص) ومن لم يؤمن بذلك فليس من الامة الاسلامية في شيء ان حال المسلمين اليوم ليؤسفني ويؤسف كل منصف موحد وقد سيطر على عقول ناشئتهم التي تباعدت عن تعاليم الدين الاسلامي وطفقت توجه سهام أقواسها على اسسه وأحكامه وتعاليمه القويمة بلا اطلاع ولا روية ذلك لان المرء عدو لما جهل ..

يقولون في الاسلام ظلما بأنه
يصد ذويه عن طريق التقدم
فان كان ذا حقا فكيف تقدمت
أوائله في عهدها المتقدم

وان كان ذنب المسلم اليوم جهله
فماذا على الاسلام من جهل مسلم
هل العلم في الاسلام الا فريضة
وهل امة سادت بغير التعلم

ويا للاسف لقد اضعنا احكامه وحكمته وفلسفته التشريعية المستنبطة من الادلة القطعية التي ليست هي الا كالدواء الشافي للمريض المزمن او كالماء الزلال للظمآن الايس فأين انت ايها المخدوع الجاحد المتباعد عن ادراك محاسن احكامه وتعاليمه ولو حاولت الامم الاوربية في جميع قوانينها وانظمتها على ان تدرك محاسن القرآن العظيم من الحكم والاحكام والعبر والمواعظ والسير واخبار الاولين لعجزت وايقنت ان هذا الدستور الذي نزل به الروح الامين على نبيه المأمون وجعله دستورا كاملا خالدا متينا غير ذي عوج ظمن لنا عز الدنيا ومثوبة الاخرة فخاطب النفس والضمير الانساني ليفرق بين الحق والباطل والنور والظلمات لايقنت ان هذا الفرقان لا يصدر عن بشر ولو اجتمع عليه اهل السماوات والارض (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ومهما يكن من أمر فان اعادة مجد الامة واصلاح أمرها وبلوغ آمالها السالفة والتالدة لا يتم بما صلح به أولها أعني التمسك بكتاب الله عز وجل والاعتصام بأحكامه القويمة والعض عليها بالنواجذ والتمسك بأذيال الشريعة المحمدية الغراء ومحاربة البدع والاهواء وقد حذرنا الشارع الاكرم صلى الله عليه وسلم بقوله (اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد فأطيعوه وان من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضو عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار) وقال أيضا (من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فالواجب على العلماء ان يشمروا عن ساعد الجد للقيام بنشر الشريعة المطهرة بين ظهراني الامة والمحافظة على ثقافة الناشئة

تلك الثقافة التي تحمل الطالب ايمانا ثاقبا خالصاً من الاوهام والشكوك لا كما عليه ثقافة المستعمرين الذين دسوا لنا السم في العسل .

فاذا تم هذا عاد مجد الاسلام الغابر وانتفع بهديه البادي والحاضر والله يتولى أمر المصلحين ويمحق دابر الكافرين انه القوي المعين والحمد لله رب العالمين .

ان القرآن هو الذي رفع مقام الانسان :

قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

« الاسراء »

ان الله تعالى كرم بني آدم وفضلهم على سائر الحيوانات وسخرها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون وخصهم بالعقل والنطق والخط وحسن الصورة وأعتدال القامة ونعومة البشرة والفهم والذكاء وتدبير الامور وكرمهم بأمور خلقية ذاتية طبيعية كتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدي بخلاف الحيوانات العجم فأنها تلتقم غذاءها بفمها كالتبن والحشيش والقشور والشعير بخلاف الانسان فان الله قدر رزقه من الطيبات السائغة كالاثمار والفواكه واللحوم وكالزبد والتمر والحلوا ثم انه تعالى بين تعداد هذه النعم بقوله (وحملناهم في البر) على الابل والخيل والبغال والحمير (والبحر) اي وحملناهم في البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وأراد بالكثير الجميع كقوله (وأكثرهم كاذبون) اي جميعهم فانه تعالى فضل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة وهذا التفضيل جار بين الملائكة

والمؤمنين واما الكفار فلا حرمة لهم ولا كرامة فقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن اكرم عند الله من الملائكة لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفي البهائم شهوة بلا عقل وفي الانسان شهوة وعقل فمن غلب عقله شهوته فهذا اكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم فالتكريم المصرح به في الاية الكريمة هو السر العظيم لرفعة مقام الانسان وعلو مقامه واختياره على سائر الحيوانات وكان الانسان قبل نزول القرآن يقتل ولده خشية الاملاق أي الفقر فنزل قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) نحن نرزقهم وأياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا والبنت كانت توئد خشية العار فنزل قوله تعالى (واذا الموئودة سئلت بأي ذنب قتلت) وعلى هذا فالفضل لرفعة مقام الانسان هو القرآن ليس الا قال تعالى (ان هذا القرآن . يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا) (وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) وخص الانسان بالقرائة والكتابة والعلوم والمعارف لانه سبحانه هو الذي أختاره وخصه بهذا التكريم واول سورة نزلت لرفعة مقام الانسان قوله تعالى (اقرأ بأسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق) وأنه خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه أشرفها وأجملها خلقة (اقرأ وربك الاكرم) الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير (الذي علم بالقلم) أي الخط والكتابة التي تعرف بها الامور الغائبة وفيه تنبيها على فضل الكتابة والقراءة لان بها ضبطت العلوم والمعارف ودونت الحكم وبها عرف أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة لما استقام أمر الدنيا والدين وقد خص بها أعز مخلوق لديه فقال (علم الانسان ما لم يعلم) فقد منحه أيضا العلم والهداية والبيان مالم يكن يعلم فهذه هي النعم التي من الله بها على عباده وأجلها نعمة هو تعلم القرآن العظيم وقد خص الله هذه النعمة بالانسان لمعرفة حقيقته فقال

(الرحمن علم القرآن) لانه اعظم وحي الله على انبيائه واشرف منزلة عند اوليائه واصفيائه وأكثره ذكرا واحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزل على افضل البرية (خلق الانسان) قيل هو آدم أبو البشر لا كما يقول داروين واضرابه من دعاة الالحاد والتضليل وذوي الذنب الطويل ان اصل البشر متولد من القرود ولماذا لا تكون القرود المنسوخة هي المتولدة من البشر الذي أختاره الله واصطفاه من سائر المخلوقات واختار منهم الانبياء والرسل وقيل اراد بالانسان الكامل المعبر عنه في التوراة (الفار قليط) ومعناه المعلم الاول وفي الانجيل المعبر عنه (بسبر من العالم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي اختاره الله من زبدة العالم واصطفاه واجتباه من نخبة القبائل والامم وهو الذي (علمه البيان) علمه ما كان وما يكون لانه كان ينبيء عن اخبار الاولين والاخرين وعن يوم الدين أو بيان الحلال والحرام والحدود والاحكام وان مما عبرت به التوراة ورواه الامام البخاري في صحيحه أيضا (يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الامة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح الله به أعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وان مما صرح به الانجيل حكا به عن عيسى عليه السلام واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل أني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وقيل اراد بالانسان جميع الناس وهم الذين علموا ما قالوا وما يقال لهم والحاصل ان هذا النوع الانساني هو الذي أختاره الله لعبادته وتقديس ذاته وذلك كما ورد في الحديث القدسي (يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها لأجلك وخلقتك لأجلي وقال تعالى خلق لكم أي لنفعكم ما في الارض جميعا) فعبادة الله وتوحيده وتقديسه هو السبب الوحيد لرفعة هذا النوع البشري وهو الانسان الذي قام بهذا الواجب وكل ما ورد في

الشريعة المحمدية من الاحكام والحدود والحلال والحرام كلها شرعت لحفظ حقوق الانسان وحرمته بين عالم الموجودات وتنظيم شؤونه الحيوية فان قيل اذا كان الامر كذلك فما قولك في مشروعية الرق مع ان الرقيق هو من نوع الانسان الجواب ان دين الاسلام أراد حرية هذا الرقيق بتوحيد ذات الاله وتقديسه وعبادته والرق هو عجز حكمي يقوم الانسان سببه الكفر فلما استنكف من عبادة الله صيره الله عبدا لعبيده واذا أعتنق هذا العبد دين التوحيد فله ما لنا وعليه ما علينا وأصبح حرا يملك نفسه وماله وعياله وليس لاحد عليه سبيل ومع هذا فان الشريعة حفظت حقوقه وحرمته وحسن معاملته كحقوق الاحرار في المأكل والمشرب والزواج واليك حادثة زيد ابن حارثة مع زينب بنت جحش ابنة عمة الرسول القرشية وكفى به دليلا على حرمة هذا النوع البشري وفي الحديث الشريف يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد وان أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على اعجمي الا بالدين والتقوى وقال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) .

فالفارسي والرومي والحبشي المؤمن عند الله أفضل من القرشي المشرك وان قسما عظيما من الهنود الانجاس اذا أعتنقوا الدين الحنيف كان الاحرى بهم ان يوسموا بالاطهار وان العبيد السودان الذين يتحاشى الامريكيون عن مجالستهم في الغرف والقطار والحمامات لو أعتنقوا دين الاسلام لرفعناهم مكانا عليا وهذا هو هدف الدين المحمدي لا يفرق بين السيد وعبده ولا بين الغني والفقير حتى في محفل العبادة فان الامة الاسلامية سواسية أمام خالقهم لا كما يوجد من الامتياز في معابد اليهود والنصارى ولكن الاسلام ساوى في الحقوق الشرعية بين الرجل والمرأة والذكر والانثى في العبادات، والمعاملات كالبيع والشراء والايجار والاستئجار والهبة وقبولها وأمثال ذلك من العقود الشرعية ولكن الشارع

حكيم يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وزع الاحكام الشرعية حسب القابليات واللياقة فللاحرار أحكام خصهم ليست للموالي وللصحيح أحكام ليست للمريض والاعمى والاعرج وللرجال أحكام ليست للمرأة وهو لا يخل بكرامتها فأن دين الاسلام هو الذي رفع مقام المرأة وأعطاها حقها اللائق بها وهو احتجابها وسكناها في منزلها وترفع حالها عن مخالطة الاغيار والاوباش قال تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فلو قيل ان هذا الحكم خاص في أزواج النبي الطاهرات أجيب بأنهن مثال للفضيلة والنزاهة لبقية نساء الامة وانهن أشبال تلك الامهات الطاهرات وان ما وهب لنبينا صلى الله عليه وسلم من العطايا فهو يعم مسلمي البرايا وان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب فالقرآن الكريم هو الذي اعلا منزلة نساء الامة وجعلها محتشمة مترفعة عن مخالطة عمال المناجم والحمالين والدهاقين ولم يجعلها سافرة مبتذلة مستهجنة كسقط المتاع تخالط هذا وذاك وهذا اعلا مقام الرفعة والسؤدد هذا اذا كانت مسلمة متمسكة بأهداف دينها وقرآنها واذا خلعت ثياب دينها وحشمتها فلا كلام لنا معها قال تعالى (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهاد العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) ولو علمت هذه المرأة اغرائها وزجها في معترك هذه الحياة القاسية لكي تعيش مع قرناء السوء لترفعت عن هذه المطالبة ولحاربت هؤلاء الذين يضمرون لهذا الجنس اللطيف الذي أوصى بهم نبيهم أصحابه بقوله (رفقا بالقوارير) وبقوله (اكمل المؤمنين أيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم) وما أرادوا بهذه الفكرة السقيمة الا ان يزجوها ويقذفوها الى حالة العناء والشقاء والى سحيق الادبار والهاوية لان تكون جنديا يشترك مع الجنود في خنادق الدفاع أو تمسك البندقية مع سهر الليالي

لاداء واجب الخفارة أو تكون موظفة تحت سيطرة الوزير أو المدير وأرادته وكلها خطرة على خلقها وأخلاقها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهذه هي الشيوعية الحقيقية التي يدعو اليها دعاة المبادىء الهدامة ولاريب فان درىء المفسدة اولى من جلب المصلحة . فالى أين أنتم سائرون يا دعاة الالحاد والتضليل ماذا تريدون يا أنصار المرأة من هذه المرأة المسكينة . أجل يريدون منها ان تحضر في حفلاتهم وسهراتهم واجتماعها معهم في حفلات البالو والدنص والرقص الخليع بلا رعاية ودين أو حياء ومن لا حياء له لا أيمان له .

اذا لم تخشى عاقبة الليالي ولم تستحي فأصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

ما أرادوا وايم الله خيرها وسعادتها وانما أرادوا بعدها عن دينها وعروبتها وغضب الرب عليها وعذاب الابد فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ان الله تعالى خلق المرأة لغايات ثلاث الاولى أنه تعالى خلقها لتنجب لك أولادا وتثمر لك أشبالا تعلم يقينا من هذه الحرة المحتجبة انهم اولاد صلبك .

وثمرة قلبك وفؤادك بلا ظن ولا وهم ولا خيال تجمع المال وتدخره لحفظ حياتهم ومستقبلهم واذا أردت مزيد الاطلاع على هذه الحالة الخطرة فعليك بمطالعة كتاب العبرات للمنفلوطي تزيدك علما اكثر مما ذكرنا . الثانية أراد الله حسب اقتضاء الحكمة الالهية ان تكون ربة البيت آمرء ناهية تدير شؤون منزلها راعية في بيتها تدبر أمور من ترعاهم وتعولهم فاذا زجت هذه المسكينة في هذا المجتمع البشري الذي تباعد عن تعاليم دينه وانسلخ عن عقائده فهل يأمن هذا الزوج من زوجته الموظفة التي تخرج من دارها صباحا تاركة دارها وأولادها تحت رحمة الخدم

وترجع لدارها مساء تحت سيطرة زيد وعمرو وارادته اليس هذا الا خرقا النظم الاجتماعية أو خرقا الاجماع الامة المحمدية والايات القرآنية (قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى نصله جهنم وسائت مصيرا) . ان المراة اذا خالطت بحسب الوظيفة من هو أجمل من زوجها صورة وشكلا فهل تبقى بين الزوجين تلك الصلة والمودة والرحمة المعنية بقوله تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الجواب اللهم كلا .

الثالثة ان الله تعالى خلق الزوجة من ضلع الانسان الايسر ليسكن اليها مترفة مزينة تسره ويسرها وتعجبه ويعجبها وتساعده على بؤسه وشقائه وتزيل همومه الخارجية لينسى التعب والعناء فقد قال صلى الله عليه وسلم (الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ان نظر اليها زوجها سرته وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله) وسئل عليه السلام أي النساء خير فقال (التي تسره اذا نظر وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا بمالها بما يكره) فاذا تحملت أعباء التكاليف الشاقة وساوته خارج البيت أصبح الطرفان كلاهما في عناء وشقاء فخرج الغرض الاصلي عما وضع له وأنعكس المطلب الاساسي من الاية الكريمة والحديث الشريف .

أما الاشتراك في الامور السياسية والاحكام التشريعية فمنذ خلق الله العالم الى يومنا هذا لا دخل لها في مزاولة الامور السياسية لدى حكومات العالم بأسره لقصر نظرها في الامور ونقصان دينها وعقلها وعصبها وعضلها ودماغها لان الدم المعتاد زمن الحيض اوهن ذلك كله وحين ما قال عليه السلام أنكن ناقصات عقل ودين قامت امرأة منهن فقالت يا رسول الله ما هو نقصان ديننا فقال أما ان أحداكن تقعد نصف

عمرها شطر دهرها بلا صلاة ولا صيام يعني زمن الحيض وكل منا يعلم بالبداهة لو تصارع شاب وشابة فلا ريب ان الصارع هو الجنس الخشن وهو أمر ضروري بديهي لا مساغ فيه للانكار .

خلق الله للحروب رجالا ورجالا لقصعة وثريد

وقد أوصى الرسول الاعظم بهن خيرا ومن المعلوم لدى العموم ان الموصى به لا يكون الا ضعيفا فقال في حجة الوداع (أيها الناس ان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم أحدا وعليهن ان لا يأتين بفاحشة مبينة ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا أنهن لا يملكن لانفسهن شئا وأنكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله) .

وقال تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) والحاصل ان الاسلام منح المرأة حقوقها الواجبة لم تمنحها شريعة من الشرائع السماوية ولم يجعلها سافرة مبتذلة كسقط المتاع وانما فرض الحجاب عليها لكرامتها عند الله لانها مؤمنة وكرامتها لدى زوجها لا يستمتع بمحاسنها غيره لانها خلقت لمسرته وانسه فهي كاللؤلؤة المصونة بين أصدافها التي لا يمسها الغبار ولا يعتريها الصديء .

ولقد احسن من قال :

قالوا التمدن في السفور فقلت ما
ضر التمدن غادة بحجاب
ان الحجاب اذا تهذب أمره
كان الكمال وزينة الاداب

يكسوا الفتاة جلالة ومهابة
ويصونها عن وصمة المرتاب
اترى يريد من السفور ذووا النهى
تقليد أهل الغرب في ذالباب
ان رام تقليد الاجانب قومنا
فليقتدوا بالعلم لا الجلباب
ابنوا المدارس علموا ابنائكم
طرق العلا من شيبها وشباب
ليس الطريق الى العلا بتهتك
لا تبلغ العليا بهتك حجاب
باب التفرنج اوصدوه فأنه
يجني على الجنسين شر عذاب

الارواح باقية بعد فناء الجسد :

فرق الحكماء بين الروح والنفس فالروح عندهم جوهر يتعلق بالبدن تعلق التأثير والتصرف . والنفس جوهر يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتفكر وعند جمهور المتكلمين والمفسرين لا فرق بين الروح والنفس وأنها ليست بجوهر وأنما هي جسم لطيف شفاف لها شكل كشكل الجسد التي كانت تحل فيه وأنها حادثة مع حدوث الابدان لانها لو كانت موجودة قبل البدن لكانت مختلفة وذلك الاختلاف أما بالماهية وذلك غير جائز لان ما به الاشتراك غير ما به الافتراق والاختلاف ولا بعوارض الماهية لان القابل لعوارض الماهية هو البدن فمتى لم تكن الابدان موجودة قبل النفوس لم تكن النفوس موجودة على فرض الاختلاف والتعدد فتكون النفوس حادثة مع حدوث الابدان . وأيضا فان النفوس ليست بقديمة لا بالذات ولا بالزمان وانما هي حادثة

مع حدوث الابدان الحالة فيها ومحل الحادث حادث أيضا . وهذا رد على بطلان من يدعي التناسخ في الارواح لان النفوس لو انتقلت من بدن الى آخر لتذكرت أحوال العهد الاول بالضرورة لبقاء النفس التي هي محل العلم والتذكر وعدم تذكرها أحوال عوارضها السالفة دليل على حدوثها وعدم انتقالها من بدن الى آخر . وأيضا فان كل بدن يصلح ان يتعلق به نفس فلو تعلق به نفس أخرى على سبيل التناسخ لتعلق نفسان مدبرتان في محل واحد وهو محال بالبداهة اذلا يشعر كل واحد من الناس من ذاته الا نفسا واحدة فظهر القول ببقاء النفس بعد الموت بلا تعلقها ببدن آخر وهو الذي ندين الله به ونعتقده .

ان الروح باقية بعد فناء الجسد وان النعيم والعذاب عليها وحدها او مع الجسد فيه خلاف بين العلماء رحمهم الله ولقد قام اجماع الامة المحمدية والايات القرآنية والاحاديث النبوية على ان عالم البرزخ عالم مستقل بذاته وله حياة برزخية لا يدرك كنه حقيقتها الا فاطرها ومبدعها ولا نيئس منها كما يئس الكفار من اصحاب القبور وقد شهد اي القرآن العظيم بحياة الشهداء البرزخية بقوله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

ومن أراد زيادة الاطلاع فعليه بمراجعة كتاب الروح لابن قيم الجوزية رحمه الله ومهما يكن من أمر فان النفس المطمئنة او الراضية المرضية اذا فارقت البدن وانقطعت عن المادة الجسمانية واتصلت بالعالم القدسي في مقعد صدق عند مليك مقتدر فقد استقلت بذاتها كمال الاستقلال واصبحت لاهوتية ونفسا مجردة كأرواح الملائكة بلا سبب يوجب اتصالها بجسد اخر قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) ذلك لان مدركاتها

لحقائق الاشياء واتصالها بعالم المجردات أتم واكمل لان النفس المجردة لا تحتاج في تعقلاتها الى الالة الجسمانية فتزداد تلك المدركات والتعقلات قوة وكمالا بعد مفارقة البدن لتخلصها عن كدورات المادة الهيولانية التي كانت تصدها عن ظهور خواصها فكان الجسم كالحاجب لها عن مدركاتها العقلية . ولا ريب فان المدرك بالعقل أقوى من المدرك بالحس لذلك يقول الباري تعالى (فكشفنا عنك عطائك فبصرك اليوم حديد) وكشف الغطاء في ذلك اليوم يعم الصالح والطالح ويعم الفرد والجماعة والمسلم والكافر . سوى ان الباري تعالى أمرنا بزكاتها وتهذيبها وطهارتها من درن العيوب الحسنة كالموبقات التسع والمعنوية كالكبر والرياء والعجب والحسد والحقد وأمثال ذلك قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وقال تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) أي غمسها في ظلمة الشهوات واللذات ولم يطهرها من درن تلك الكدورات ولقد أحسن من قال :

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح فى ما فيه خسران

اقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم انسان

من يتق الله يحمد في عواقبه
ويكفيه شر من عزوا ومن هانوا

فالانسان اذن ليس انسانا بجسده وصورته ولكنه انسان بقلبه وروحه . فالمؤمن من العريق بأيمانه الخالص من يحمل روحا طيبة سامية مملوءة ايمانا وحكمة وشهامة وغيرة مجردة عن النفاق والخداع والغش والكذب .

المؤمن الصدوق من يحمل نفسا راضية مرضية مطمئنة مترعة من الخير متجافية عن الشر هي تلك النفس المتحلية بالصدق والعفاف والود والوفاء بالوعد والعهد ومكارم الاخلاق المملوءة علما وحلما وحكمة وعفوا وكرما ومروئة وسخاء تلك هي النفس المعنية بقوله تعالى (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) . لذا يقول عليه السلام (ان الله لا ينظر الى صوركم واجسامكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ذلك لان القلوب مهبط الارواح ومستقرها ومنها تشع أنوارها الى الدماغ وسائر الجسد) فنسألك يامثبت القلوب ان ثبت قلوبنا على دينك واتباع شريعتك وسنة نبيك .

الايمان بالملائكة :

حقيقة الملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة يخلق الله أياها كما كان يظهر ويتمثل جبريل أمام الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة دحية الكلبى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) . ولا يحتاجون الى طعام أو شراب لانهما لقوام المادة وهم مجردون عن المادة الجسمانية اختارهم الله سفراء أمناء بينه وبين خلقه فمنهم الكرام الكاتبون ومنهم خزنة النار وقد اخبر القرآن الكريم بذلك كله أو أكثره قال تعالى (والنازعات غرقا) (~~والنازعات~~) الملائكة تنزع ارواح الكفار (غرقا) نزعا بشدة (والناشطات نشطا) الملائكة تنشط ارواح المؤمنين برفق (والسابحات سبحا) الملائكة تسبح من السماء وبأمره تعالى أي تنزل (فالسابقات سبقا) الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة (فالمدبرات أمرا) الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره تعالى وقال ابن مسعود هى أرواح المؤمنين تسبق الى الملائكة التى يقبضونها الى لقاء الله وكرمه وجواب هذه الاقسام محذوف تقديره لتبعثن يا كفار مكة .

أقسم الباري تعالى بأصناف الملائكة وحقيقتها كما أقسم بالشمس والقمر والسماء والارض والنجم والشجر مع ان القسم بغير الله تعالى

حرام وغير جائز بأجماع الامة المحمدية سلفا وخلفا للدلالة على أن هذه المخلوقات العظيمة لا يتمكن على ايجادها سواه لان الغرض من القسم التعظيم وهو لا يليق الا بذات الله او صفة من صفاته وكذلك النذر لغير الله تعالى فأنه جرم وحرام كما نص عليه الفقهاء رحمهم الله في كتبهم لقوله تعالى (وما اهل به لغير الله) اي حرام اكله لقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ... هذا وينبغي على كل مؤمن ومؤمنة ان يعتقد بوجود الملائكة لادارة هذا العالم العلوي والسفلي بأمره وانهم معصومون يسبحون الله بالليل والنهار لا يفترون عن ذكر الله قيد لحظة قال عليه السلام أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع كما يجب علينا ان نعتقد بوجود الجن وهم اجساد نارية اي متكونة من النار وان تجردت عن معنى الاحراق يظهرون ايضا بأشكال مختلفة فمنهم دعاة الى الخير ومنهم دعاة الى الشر ويسمون بالشياطين وليست هذه الشيطنة خاصة بهم بل قد يكون بالانس من هو أشر منهم قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) فتقديم لفظ الانس على الجن لا يخلو عن هذه النكتة ومهما يكن من أمر فان الجن مكلفون بالايمان وبالاحكام الشرعية لا فرق بينهم وبين بني آدم فمنهم المؤمن ومنهم الكافر وهم المردة من الجن فنوع الجن خيارهم ونوع الشياطين شرارهم لذا يقول عليه السلام ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فما منكم من احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فأسلم وأنكر بعض الفلاسفة الماديين وجودهم وما نقل من الانكار لابن سينا فليس بصحيح وقد اعترف جمع عظيم من الفلاسفة القدماء الروحانيين بوجودهم وانكارهم كفر صريح ومخالف لما ورد في نصوص القرآن قال تعالى (يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس) وقال تعالى (قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا) وقال تعالى حكاية

عنهم (قالوا يا قومنا أنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم) واشدهم شقاء ابليس الطريد لمخالفته الامر الالهي بالسجود لادم ولقد أخطيء في القياس حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شأن النار العلو وشأن الطين الهبوط فكان قياسه فاسدا ولم يعلم بان منافع الارض وثمارها انفع فان النار اذا دخلت شيئا احرقته وافسدته وهي تحرق الاخضر واليابس وثمرة أعمالها رماد تذروه الرياح . وان الارض اذا أودع فيها شيء أصلحته وأثمرته قال تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ومنها تخرج المياه العذبة والعيون والانهار فتنبت الاوراد والازهار والثمار والاشجار فكان قياسه فاسدا وحجته داحضة كفانا الله شره وشر اعوانه وأنصاره) .

الايمان بالقدر :

من آمن بالقدر امن من الكدر ولقد قام أجماع الامة على ان جميع ما يقع من الحوادث والكوارث وما يصدر من افعال العباد خيرها وشرها بخلق الله وقضائه وقدره فالخير منها برضاه والشر بقضاه لا برضاه لقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) فالباري سبحانه كتب مقادير الخلائق كلها من قبل ان يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة كما ورد في الاحاديث الصحيحة ولا يكون في الدنيا ولا في الاخرة شيء الا بمشيئته وعلمه وقضائه أي حكمه وأمره وقدره وكتبه أي في اللوح المحفوظ ولكن كتبه في اللوح المحفوظ بالوصف لا بالحكم أي ان الاشياء ستكون على وفق القضاء بأنه ليكن . فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لامره ومعنى هذا التقرير ان الله علم افعال العباد وحركاتها وسكناتها باختيارهم من الازل وهذا هو معنى المكتوب والمقدور قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرئها ان ذلك على الله يسير) واذا علم الله

تعالى حركات العباد من الازل لم يكن العبد موكولا على ذلك القدر الـذي ليس مقدورا في علمه ولكن الواجب عليه ان يسعى لفعل الخير متجافيا عن الشر الذي لا يريده الله منه فأنه تعالى أراد الايمان من أبي جهل لعنه الله فأنزل كتابا وارسل رسولا لهذه الغاية ولكن أبا جهل أراد الكفر بأختياره وكسبه وعلق أرادته عليه فخلقه الله له فأنه خلق للعبد قدرة له ان يصرفها كيفما يشاء بأختياره وارادته بمعنى أنه يجوز له ان يصرفها لطريق الخير فيثاب أو الشر فيعاقب فسبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء وخلق القبيح ليس بقبيح ولكن القبح كسبه وتعلق أرادته بفعله قال تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقال تعالى (لتجزي كل نفس بما تسعى) وقال بعض الفضلاء ان مخلوقات الله تعالى ومكوناته كلها خير ولا تتصف بشر البتة فأنه تعالى خلق للعبد آلة شهوانية مثلا فأراد من العبد ان يصرفها في محلها الشرعي فاذا صرفها في غير محلها الشرعي كانت شرا له فأتصافها بالشر بالنسبة الى العبد لا اليه تعالى وكاد ان يكون هذا الرأي والاعتقاد قريبا الى العقل والتنزيه في حقه تعالى .

واما ما ذهب اليه المعتزلة من العبد خالق لافعاله فمردود بقوله تعالى (هل من خالق غير الله) وقوله (الله خالق كل شيء) وأما قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك) أي من كسب نفسك وذنبها عقوبة وكفارة لك ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير فخلق الطاعة فضل وخلق المعصية عدل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) . وماذا يقول المعتزلي في قوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) وهل من خالق غير الله وقد سئل بعضهم هل كان الزنا شرا أم خيرا فقال هو شر فقيل له لو حملت المزنى بها بولد فهل كان هذا الولد خيرا أم شرا فقال انه من فعل الشر فقيل له من الذي خلقه في رحم امه فولى الشيخ مدبرا ولم يعقب ونقل السعد التفتازاني رحمه الله في شرحه على العقائد النفسية ان أبا اسحق الاسفرايني وكان من

اهل السنة والجماعة دخـــل علـــى الصاحب ابن عباد وعنده عبدالجبـار الهمداني فأول ما قدم ابو اســــحق فاجئه عبدالجبار بقوله سبحان مـــن تنزه عن الفحشاء فأجابه الاستاذ حالاسبحان من لا يجري في ملكـــه الا ما يشاء فقال الهمداني أفيريد ربنـــاان يعصي فأجابه افيعصي ربنا قهـرا فقال ارأيت ان منعنى الهـدى وقضىعلي بالردى أحســـن الي أم اســاء فأجابه ان منعك مالك فقد اسـاء وان منعك ماله فهو يختص برحمته مـــن يشاء فوقف حمار الشيخ بالعقبة ولم يجب واما ما نقل عن مذهب الجبرية بان العبد مجبور على الفعل مطلقـــاكالسعفة في الهواء فهو مذهب باطـل لانه مناف للتكليف الشرعي ومصـــادم للحكم العقلي وانشدوا لبطلانه قوله :

القاه في اليم مكتوفا وقال له   اياك اياك ان تبتـــل بالمـــاء

وينبني على هذا المذهب ان ابـاجهل واضرابه لهم ان يحتجوا يـــوم القيامة بأننا مجبرون على الكفر لانـك انت اخبرتنا على افعالنا وهذا الـذي صــــدر منا بخلقك فمـــن عدلك ان لا تعاقبنا بنارك وهذا باطل أشـــد البطلان لا يتكلم به الا جاهل فضلا عن عاقل وهذا البحـــث طويل الاذيـــال ومعترك الفحول من الرجال لا يجـــوز الخوض فيه الا لمن له المام بمعرفـــة كتاب الله وسنة رسوله عليه السـلام سائلا المولى ان يجعلنا من الذيـــن يستمعون القول فيتبعون أحســـنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هـم اولو الالباب .

وهذا الذي ذكرناه فيما يتعلـــق بالعقيدة الصحيحة السليمة وأمـــا ما يتعلق بالعبادات وما بني عليها دين الاسلام كالصلاة وما يتعلق بها مـــن الاحكام كالوضوء والتيمم والاغتســـال من الجنابة وبيان المساجد والمعابـــد وكذا سائر التكاليف الشرعية فنذكرها على سبيل الاجمال غير متعرضـــين للفروع المنوطة بها فان الفقهاء (رح) لم يألوا جهدا ولم يقصروا في جمعهـا وتفصيلها وتقسيمها الى ابواب وفصول وان المطلب الاعلى والمقصد الاسنى في هذه الرسالة بيان أهميتها في نظـــر الدين الاسلامي وحكمـــة مشروعيتها

متعرضين اولا لبيان حرمة المساجد والمعابد وأنها مصدر لكل خير وفضيلة ومدرسة تهذيب واخلاق .

المساجد مدرسة دين واخلاق وتهذيب :

قال تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

« سورة النور »

يأمرنا الباري جل جلاله ان نرفع مقام المعابد والمساجد التي نقدس فيها ربنا وخالقنا وان يكون لها المقام الاسنى في انظارنا ومعتقدنا بحيث لا يتطرقها ولا يلبث فيها الجنب ولا الحائض والنفساء ولا يجري فيها اللغو والاصوات كما يجري في الازقة وسائر الامكنة وهذا هو المراد من الرفعة . المساجد بيوت الله يجب احترامها بكل ما في وسعنا وطاقتنا . المساجد مصدر تقديس ذات الالة وتعظيمه ومدرسة تهذيب اخلاق الامة وجامعتها . المساجد منبع نشر الفضائل وبث النصائح بين افراد الامة في جميع شؤونها الدينية او السياسية المنوطة بنيل السعادتين . المساجد اوالجوامع مورد نشر الاحكام الالهية ومحل تطبيق الاحكام السماوية من قصاص وحدود وتعزير وغير ذلك من الاحكام السماوية كما وقع ذلك للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كما انها المنزل الصافي الذي يتوارد اليه الامم والاقوام على حسب طبقاتهم متظامنين متراصين امام خالقهم حين اداء واجبهم فكم وكم تخرج من ربوع هذه المعاهد والمعابد علماء فطاحل وائمة تشد اليهم من اقطار الارض الرواحل وتقتبس من شعلة نارهم جحافل وهؤلاء امامنا رجال الدين الحاضرون فانهم لم يتخرجو الا من ربوع هذه الرياض

النظرة وان المطلب الاسمى من رفعة هذه البيوت اظهار الشعائر الدينية واقامة الجمعة والجماعة لاعلاء كلمة الله الامر الذي جعل غايتهم واحدة وهدفهم واحد ولا يمكن ذلك الا بالوحدة الاسلامية التي عليها نجاح الاسلام وان الناس سواسية امام خالقهم حين اداء واجب العبادة بلا فرق بين الراعي والرعية والامام والمأموم والمالك والمملوك تحقيقا لتلك الوحدة لذا اهتم بها الكتاب اهتمت بها السنة اهتم بها الخلفاء الراشدون والعلماء المهديون وما كانت المنابر الا وسيلة من وسائل الدعوة الى الاتحاد ووحدة الكلمة وشمل رابطة الامة وما كانت الامامة وتنظيم امر الجماعة الا ليتحد امر المسلمين والكتاب واحد ليتحد مصدر التشريع والمساجد واحدة لتتحد امكنة العبادة والحدود واحدة ليتساوى المسلمون في المساوات تحقيق لمعنى الوحدة وهي التي يدور عليها نجاح المسلمين ولا تحصل هذه الغاية القصوى الا في محفل عبادتهم ومعاهد دينهم وجامعاتهم التي هي مصدر كل خير وفضيلة لذا يقول تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) وقال عليه الصلاة والسلام من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله بيتا في الجنة وفي رواية ولو مفحص قطات بنى الله له بيتا في الجنة وقال ايضا سبع يجزي للمرا اجورهن بعد موته وهو في قبره من علم علما او اجرى نهرا او غرس نخلا او حفر بئرا اوبنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا صالحا يدعو له بعد موته .

الوضوء والتيمم والاغتسال من خصائص الامة المحمدية :

(يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا

بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) .

ان الوضوء والتيمم والاغتسال من الجنابة من خصائص الامة المحمدية فقد خاطب الله كل مؤمن ومؤمنة من الامة المحمدية بنظافة الاعضاء الرئيسية وهي اطراف الجسد من درن الاوساخ الحسية وهي معلومة والمعنوية كطهارة الجرائم المنوطة باللسان والسمع والبصر والبطش باليد والسعي على الارجل لذا يقول تعالى (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) فاذا توضىء الرجل وغسل هذه الاطراف انحدرت عنه هذه الذنوب مصحوبة مع ماء الاغتسال ولذلك ذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان الماء المستعمل نجس لمخالطته الذنوب المتهاترة من هذه الاعضاء الى انه رجع عن هذا الراي الى القول بأن الماء المستعمل طاهر غير مطهر تخفيفا على الامة فاذا فرغ الانسان قلبه من مشاغل الدنيا ومن الوساوس الشيطانية واراد ان يقف بين يدي الله تعالى لاداء شكر نعمة الوجود يجب عليه ان يقف طاهرا مطهرا من درن الذنوب الحسية والمعنوية غاسلا وجهه ويديه ماسحا رأسه جميعه عند مالك واحمد وربعه عند ابي حنيفة وبعضه عند الشافعي رحمهم الله فاسلا قدميه الى كعبيه وهذا هو الذي قام عليه اجماع المذاهب الاربع ونصت عليه الاية الكريمة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) اي اذا اردتم القيام الى الصلاة وانتم محدثون (فأغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق) فأن لفظ اليد تطلق عرفا من اطراف الاصابع الى الكتف فالمروك منها العضد الى المرافك فتكون داخلة في حكم المغسول لا المتروك لان لفظة الى موضوعة لعدم دخول الغاية في المغيا مثل قوله تعالى (اتموا الصيام الى الليل) فأن الليل غير داخل في مفهوم الصوم (وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين) فلفظ الارجل معطوفة على اليدين المحدد غسلها الى المرفقين والجهة الجامعة بينهما هو التحديد الذي هو امارة الغسل وعدمه امارة المسح كما في آية التيمم وليست معطوفة على الرؤوس لعدم وجود الجهة فهي مغسولة قطعا وقد

ثبت ذلك بالاحاديث الصحيحة ان رجلا توضىء ولم يستوعب غسل رجليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاعقاب من النار ويل للاعقاب من النار وهذا هو المتوارث عن أهل الحجاز ومن جاورهم وهم مصدر التشريع الاسلامي ولا اثر للمسح عندهم ولا يخفي على المنصف المتامل ان الارجل هي التي تكابد الاوساخ والعفونات دون غيرها من سائر الاعضاء فاذا كان المراد من الوضوء الوضائة والنظافة فالارجل اولى بالغسل من غيرها فلا يلام الانسان اذا فعل ما هو الاحسن والا ولى ثم من تتبع الرخص ثم قال تعالى (وان كنتم جنبا فأطهروا) واراد بهذه الصيغة المبالغة في التطهر وما شرع الله الاغتسال من الجنابة الا لامر اقتضته الحكمة الالهية وهي التقليل من الوقاع وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان القوة في العينين والركبتين ان شئت فاقلل وان شئت فأكثر وقال بعضهم أن الاغتسال بعد الجنابة يعيد القوة الموهنة بعد الجماع لان مسام الجسد يتماسك لديه فاذا افاض الماء عليه فتحت تلك المسام المتقلصة وعادت تلك القوة الموهنة فكأنما نشط من عقال وقال بعضهم ان الانسان في تلك الحالة ينسى ذكر الله فأوجب الله عليه الاغتسال للبدن من تلك الغفلة واحكام الله كلها حكم ومصالح لا يسعنا ان نحيط بها علما (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط) ان الغائط هو المكان المنخفض فذكر المحل واريد به الحال مجازا (أو لامستم النساء) هي المباشرة الفاحشة عند أبي حنيفة واللمس بشهوة عند مالك واحمد ومجرد اللمس عند الشافعي رحمهم الله .

(ولم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) شرط الباري تعالى التيمم عند فقدان الماء أو بعده ميلا أو عدم

كفايته للوضوء وقال الشافعي واحمد يتوضىء بهذا الماء ويتيمم لما بقى من الاعضاء أو احتياجه لشربه أو شرب دابته أو لمرض الم به أو خاف زيادة مرضه بتجربة أو اخبار طبيب فعند ذلك يباح له التيمم وهو لغة القصد وشرعا أستعمال الصعيد الطاهر مع نية مقصودة لا تصح بدون طهارة وهو ضربة للوجه وضربة لليدين لقوله عليه السلام التراب طهور المسلم ولو الى عشر حجج اي عشر سنوات مالم يجد الماء ويستوي فيه الجنب والمحدث والحائض والنفساء فقد ذكر في العناية وغيرها ان قوما جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قوم نسكن هذه الرمال ولم نجد الماء شهرا أو شهرين وفينا الجنب والحائض والنفساء فقال عليه الصلاة والسلام عليكم بأرضكم وأراد به التيمم بالتراب وهو قائم مقام الماء في الوضوء لانه أيضا يقطع الروائح الكريهة كما انه يقتل الحيوانات الضارة لذا يقول عليه الصلاة والسلام اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا أحداهن بالتراب لان في ولوغ هذا الحيوان مادة تفتت العظم الصلب وربما يوجد فيه داء الكلب فالتراب يزيله ويطهره ويقتل الجراثيم الضارة وربما كانت سامة لذا قال عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فالتراب الذي هو أحد العناصر الاربع من الماء والنار والهواء عدها الشارع من المطهرات كذلك التراب فانه متولد من الماء كما في الحديث الصحيح عند تفسير قوله تعالى وكان عرشه على الماء (ان أول ما ظهر على جه الماء عند خلق السماوات والارض زبدة من ماء فدحيت الارض من تحته) وعليه فاذا فقد الماء أو لم يفقده لكن وجد معه تلك المحاذير المذكورة تيمم وصلى ولا اعادة عليه سواء في ذلك المريض والصحيح والجنب والحائض والنفساء بأجماع المذاهب الاربع لان الساقط هي الصلاة المؤدات بالتيمم لا يعود وقال الشافعي اذا كانت الارض موجودا فيها الماء أكثر السنة فعليه الاعادة والله أعلم .

الصلاة ركن عظيم من اركـــان الاســـلام :

قال رسول اللـــه (ص) بنـــي الاسلام على خمس شهادة ان لا الـه الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصـــوم رمضان رواه الامام البخاري ومســـلم فقد شبه الرسول الاعظم الاســـلام بصرح عظيم وطود جســـيم كـــان اساسه المبني عليه سائر الاركـــان الباقية هو التوحيد اذ انـــه اصـــل العقيدة الاسلامية وعليه مدار صـــحة الاركان الباقية فان كان الاســـاس مشوبا بزيغ او ضلال كانت الباقيـــة غير صحيحة وغير مقبولة من صاحبها واليه يشير قوله تعالـــى (وجـــوه يومئذ خاشعة عاملة ناصـــبة تصلى نارا حامية) لان العقيدة المبنى عليهـا الاركان غير صحيحة كالبنـــاء علـــى الرمل ينهار باقل فرصة او صـــدمة ممكنة قال تعالى (افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خـــيرا من اسس بنيانه على شفى جـــرف هار فانهار به في نار جهنم واللـــه لا يهدي القوم الظالمين) اذن يجب على كل من لبس ثوب التقـــوى وتسربل بسربال الايمان واعتنق دين الاســـلام من كل مؤمن ومؤمنة ان تكون صلاته وعبادته وسائر التكاليف الشرعية أعز عليه من روحه وماله ووالده وولـــده وما شرعت الصلاة الا شكر النعمـــة الوجود وانها صلة بين العبد والـــرب وانها معراج العارفين والوســـيلة العظمى للقرب من حضرة القدس امام رب العالمين فهي ثمرة الحياة ونهايـــة الموجودات وبها تنـــال الســـعادات وجامعة لعبادة الارضين والســـماوات كما أخبر الباري تعالى بقولـــه (قياما وقعودا وعلى جنوبهم) وقال تعالـــى (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) كيف لا وقـــد جمع الله عبادة الانبياء كلهـــا فـــي صلاة الامة المحمدية فان صلاة الصبح كانت لادم والظهـــر لداود والعصـــر لسليمان والمغـــرب ليونس والعشـــاء ليعقوب عليهم السلام فكل الصيد في

جوف الفرا ومهما يكن من أمر فــان الصلاة هي الغاية القصوى التـي خلق العالم لاجلها قال تعالى (وما خلقـت الجن والانس الا ليعبدون ما أريــد منهم من رزق وما اريــد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القـوة المتين) وكذلك الحكم شامل لكافة الاحكـام الالهية والتكاليف الشرعية فأنهـا ما شرعت الا أمتحانا منــه لخلقــه ليجازي كلا على حسب طاعته واسائته ولكن الانسان اذا ثابر على أدائهــا وشمر عن ساعد جده للقيام بواجبهـا ارتفعت عنه التكاليف كلها اي مشاقها وشدتها واصبحت مألوفة له حسـب جري العادة قال تعالـى (وأستعينوا بالصبر والصلاة وأنهـا الكبيرة الاعلى الخاشعين الذين يظنون انهـم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) فقد أوجب الباري تعالى الصــلاة والصـبر أي المحافظة على أدائها على كل مؤمــن ومؤمنة من بني الانسانية بحيــث لا يتخلف عن أدائهــا الا منافق أو مارق اذا يقول صلى الله عليه وسلم ما أفترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئا أحب اليه من الصلاة ولو كـان شيء أحب اليه منها ما تعبد بهــا ملائكته فمنهم راكع ومنهم سـاجد وقائم وقاعد وقال صلى الله عليــه وسلم يا أبا هريرة مر أهلك بالصـلاة فأن الله يأتيك بالرزق من حيــث لا تحتسب وقال علـي كرم الله وجهه اذا مات العبد بكى عليه مصلاه مــن الارض ومصعد عمله من السماء ثـم تلا (فما بكت عليهم السماء والارض) تبكي عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء ما من عبد سجد لله سجدة في بقاع الارض الا شهدت له يوم القيمة وبكت عليــه يوم يموت . ان الارض لا تبكي على من تجبر عن طاعة اللــه وأستكبر وانما جزائه الطـرد والمقت وعذاب الابد يوم الفزع الاكبر قـال تعالى (ان الذيــن يستكبرون عــن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي ذليلين حقيرين وقال تعالـى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصـــلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) الغي التعب والحسرة والندامة وقـال وهب الغي نهر في جهنـم بعيد قعده

خبيث طعمه أعده الله لتارك الصلاةوقال أبن عباس رضي الله عنه الغي واد في جهنم وان اودية جهنم تستعيذ بالله من حره اعده الله للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولاكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وتارك الصلاة فاذا أضاع العبد صلاته التي هي من أهم الواجبات التي سماها الله في كتابه أيمانا كان لغيرها أضيع قال العلماء ان المسلمين لم يختلفوا في ان ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب والكبائر . وان أثم تارك الصلاة أعظم عند الله من قتل النفس واخذ الاموال بالباطل ومن اثم الزنا والسرقة وشرب الخمر وانه متعرض لعقوبة الله وخزيه وسخطه في الدنيا والاخرة قال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتسائلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوالم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين) هذا وان الواجب على كل من اوتي الحكمة وفصل الخطاب ان ينظر في معنى الاسلام الشرعي أو اللغوي أليس معناه الانقياد لا غير فهل يكون التارك المتخلف منقادا لاوامر الله تعالى وهل يتحقق فيه معنى الاسلام الا صورة لا حقيقة أجل هو مسجل في دفتر النفوس مسلما وهل يسمن أو يغني من جوع هذا التسجيل امام رب العالمين . ولعمر الحق لو كان يعتقد تارك الصلاة ان له ربا لقدسه وأطاعه ولكن أعراضه دليل على عدم اعتقاده واعترافه لذا يقول عليه الصلاة والسلام (لا أيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا طهور له انما موضع الصلاة من الدين كموضع الراس من الجسد فنسئلك يا مثبت القلوب ان تثبت قلوبنا على دينك ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب) .

صلاة الجمعة وأهميتها في نظر الشرع :

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذالكم خير لكم ان كنتم تعلمون) من المناسب ان نعقب بعد ذكر الصلاة المطلقة الصلاة الخاصة وهي صلاة الجمعة وأول من سماها بذلك كعب ابن لؤي فقد اخرج عبدالرزاق عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه وهو يوم السبت وللنصارى مثل ذلك وهو يوم الاحد فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونشكره فأجعلوه يوم العروبة اي الرحمة فأجتمعوا الى سعد ابن زرارة فصلى بهم ركعتين فذبح لهم شاة فتغذوا منها وتعشوا وذلك لعامتهم فأنزل الله هذه الاية ولم يخاطب الباري تعالى بها الا من أتصف بصفة الايمان فخاطب كل مؤمن في مشارق الارض ومغاربها بأداء هذه الفريضة القاطعة من فوق سبع سماوات وأنها من أعظم الشعائر الواجبة التي لا يتخلف عنها أو يتركها الا من عرض نفسه لسخط الله ومقته لان المخاطب بها هو المؤمن ليس الا . ان صلاة الجمعة فريضة قاطعة لا تحتمل السقوط بوجه اوجبها الله في نص الكتاب والسنة النبوية وقام عليها اجماع الامة المحمدية خلفا عن سلف وان الغرض منها أخلاص العبودية لله تعالى واظهار الشعائر الدينية الاسلامية فأن المؤمنين الموحدين ملزمون ان يجتمعوا في الاسبوع مرة في محفل عبادتهم وتقديسهم لذات الاله عز وجل متعاضدين متأزرين حول منافعهم العامة والخاصة بلا فرق بين العربي وغيره من الامم والاقوام والشعوب فيما يعود على الامة والمجتمع من الخير والسعادة ودفع الشرور ولعظمها عند الله تعالى خصها بأحكام لم توجد في غيرها من الصلوات الخمس (١) ان الله تعالى حرم البيع والشراء وقت النداء (٢) أنه تعالى لم يخاطب احدا من خلقه سوى المؤمنين انفسهم (٣)

أن لا تصلى الا في المسجد الجامع مع الجماعة فلا تصلى في البيت (٤) لا تنعقد الا مع الجماعة ولا تقام مع الانفراد فما بال الاقوام قد عطلوا المنابر التي بناها رسول الله بيده وشيدها من بعده خلفائه الراشدون فهل من المعقول والانصاف ان تاركها مثاب ومأجور وان القائم بها وبشعائرها آثم مأزور وانه يدخل النار وتاركها يدخل الجنة مع ان المنبر الذي أسسه رسول الله صلى الله عيله وسلم لم يهمل ولن يتعطل الى اليوم وعليه عمل أهل المدينة المشرفة خلفا عن سلف والتي هي مصدر الايمان والنبوة والاحكام الشرعية واعمالهم حجة قاطعة على العالم الاسلامي اجمع فكيف يهدر حكم شرعي قام عليه الكتاب والسنة واجماع الامة برأي المجتهد مع انه لا اجتهاد في مورد النص وانى يسوغ للمجتهد اخذ الخمس والثلث ورد المظالم بدعوى انه وكيل عن الامام المعصوم فلماذا لا تكون هذه الوكالة عامة لاقامة صلاة الجمعة والعيدين أيضا ولا أدري ماذا يكون الجواب غدا امام احكم الحاكمين وقد شدد الرسول الاكرم النكير على تاركها بقوله (لقد هممت ان أمر بالصلاة فتقام ثم انطلق برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الجمعة فأحرق عليهم بيوتهم) رواه مسلم رح وقال عليه السلام في خطبته (ان الله تعالى افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في عامي هذا في شهري هذا في يومي هذا فمن تركها وله امام عادل او جائر استخفافا بها وجحودا بها فلا جمع الله له شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا زكاة له ولاصوم له ولا حج له ولا بر له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم من ترك ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الاسلام وراء ظهره رواه البخاري رح والله ولي التوفيق ومنه الهداية لاقوم طريق) .

بـــاب أثبات سنة الجمعة القبلية
وأجماع الامة على القيام بفعلهـا
باب أثبات سنة الجمعة
القبلية والعدين تواترا

لقد قام اجماع الامـــة علـــى ثبوتها وتأكدها وقيام العمل بها خلفـا من سلف وحقيقة التواتر هو اخبـــارجمع عن جمع بحيث يحيل العقـــل تواطئهم على الكذب وتعيين العـــددليس بشرط بل الضابطة مبلغ يفيـــد اليقين وهو أحد الادلة الشرعية التـي تستنبط منها الاحكام الدينية الاسلامية ولقد قام اجماع العلماء على ان صلاةالجمعة هي عوض وبدل عن صـــلاة الظهر الفرض مقام الفرض والســـنةمقام السنة فلا حاجة ماسة تدعو الى اثباتها بدليل اخر لانها اصبحت مـن الامور المعلومة من الدين بالضـــرورة وأجمعو علـــى ان استماع الحطينين كصلاة ركعتين حتى ان من قال لمـــن بجنبه صه فقد لغا ومـــن لغا فـــلا جمعة له ومع هذا فقد وردت احاديث جمة ونصوص هامة على تأكدهـــا ووجوبها وقيام العمل بها خلفا عـــن خلف في جميع الاقطار الاســـلامية ونشرها في جميع الكتب الفقهيـــة واليك ما نص عليه الفقهاء والعلمـــاء في كتبهم :

فعن أبي ايوب الانصاري (رض) قال كان النبي صلى الله عليه وسـلم يصلي بعد الزوال أربع ركعـــات فقلت يا رسول الله ما هذه الصـــلاة التى تداوم عليها فقال هذه ســـاعة تفتح أبواب السماء فيهـــا فأحب ان يصعد لي فيها عمل صالح فقلت أفي كلهن قراءة قال نعم فقلـــت بتسليمة واحدة أم بتسليمتين فقال بتسليمة واحدة رواه الطحـــاوي وأبـــو داود والترمذي وابن ماجة من غير فصـــل بين الجمعة والظهر ... وروى ابـــن

ماجة بأسناده جيد كما قال المحدث العراقي انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر اربعا بلا فصل أيضا ... وروى ابن ماجة بأسناده عن ابن عباس (رض) كان النبي صلى الله عليه وسلم يركع قبل الظهر اربعا لا يفصل بينهما بشيء ... وروى الترمذي ان ابن مسعود (رض) كان يصلي قبل الجمعة أربعا وبعدها اربعا والظاهر أنه تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

وكذا ما رواه الشوكاني (رح) في كتابه نيل الاوطار صحيفة ٢٧٠ ما نصه هذا ما رواه الامام الشافعي (رحمه الله) موجود في الاحاديث الصحيحة وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم رغب في التبكير الى الجمعة والصلاة فيها الى خروج الامام فمن الاحاديث الدالة على ذلك حديث الباب وحديث أبي هريرة (رض) ومنها حديث ابن عباس (رض) عن ابن ماجة والطبراني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركع قبل الجمعة أربعا لا يفصل بينهن ومنها حديث عبدالله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم عند السنة بلفظ (بين كل اذانين صلاة) ومنها حديث عبدالله بن الزبير (رض) عند بن حبان والدار قطني والطبراني رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان) هذا والذي قبله ندخل فيه الجمعة وغيرها ... ومنها الاحاديث الواردة في مشروعية الصلاة بعد الزوال وقد تقدمت والجمعة كغيرها وحديث ابن عمر (رض) أنه صلى الله عليه وسلم كان يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين ويحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك قال العراقي اسناده صحيح وقال المنذري وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة من وجه آخر بمعناه والحديثان يدلان على مشروعية الصلاة قبل الجمعة ... أنتهى البحث نقلا عن الامام الشوكاني رحمه الله... وكان من رؤساء أئمة السلف وذكر

الآلوسي رحمه الله فى كتابه غاليـــةالمواعظ صحيفة ٦٣ ما نصه ان السنن المؤكدة ركعتان قبل الفجر واربع قبـل الظهر وركعتان بعده واربع قبـــــل الجمعة واربع بعدها فمن أين اخـــذهذا وهو امــام السلف والخلف ...
وعن ابي هريرة (رض) ان رســـولالله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حج المساكين وعيد المؤمنين والخطبتان تقومان مقام ركعتين من الفرض نقــلا من مشكات المصابيح ...

فأن قيل كيف تصلى الســــنة قبل الاذان ... فالجواب ان الصــلاة فرضا كانت أو سنة ليست مربوطــةبالاذان وانما هي منوطة بالوقت (قال تعال أقم الصلاة لدلوك الشمس الــى غسق الليل) .

فمن المتيقن ان رسول الله صلىالله عليه وســلم تيقن لديــه زوال الشمس عن وسط السماء فصلاهـــاكما تروى هذه الاحاديث المذكورة وقد قام اجماع العلماء على ان الحديــثالضعيف يؤخذ به فى فضائل الاعمال وان من حفظ حجة على من لـم يحفظ وقال علماء الاصول اذا تعارض بينة الاثبات مع بينة النفي رجح بينـــةالاثبات على بينة النفي قال تعالــــى (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) .

ولا يزال المسلمون قائمين بهـذاالواجب المقدس سنين واعواما بــلا منازع ولا مدافع وقام عليها اجمــاعالامة سوى معارضـــة شـــــخص أو شخصين وليس هذا الا تهاونا فـــيالدين وخرقا لاجماع المسلمين وهــذا لا ينافى الاجماع كما قال الامـــــامالك رحمه الله ان كل أحد يؤخــذ منه ويرد عليه الا صاحب هــذا القبريعنى به محمدا صلى اللـــه عليــه وســـلم .

فأن قيل أن العبادات هي محدودة فلا تقبل الزيادة فالجواب كما أنها لا تقبل الزيادة لا تقبل النقصان أيضا لان السنن التابعة للفرائض ليست مستقلة بذاتها وانما هى مجبرة للفرائض تابعة لها ولاسيما فريضة الجمعة التى هى من اهم الفرائض التى حرم الله البيع فيها وقت النداء فكل فريضة شرع الله لها سنة قبلية كان او بعدية مؤكدة كانت او غير مؤكدة وعلى الاخص سنة الجمعة قبلية كانت او بعدية قام بأدائها جميع البلاد الاسلامية وعلى الاخص اهل مكة والمدينة وبلاد الحجاز وهم مصدر التشريع الاسلامي ونص على فعلها وادائها فطاحل علماء الاسلام فى جميع كتبهم بلا منازع ولا مدافع عدا هذه الايام الاخيرة بدعوى البعض منهم ان البخاري رحمه الله لم يتعرض لذكرها فى صحيحه والجواب بعد ان يعلم البخاري وغيره بأن صلاة الجمعة نائبة مناب صلاة الظهر الفرض مقام الفرض والسنة مقام السنة فلا حاجة ماسة تدعو لذكرها والحالة هذه والله أعلم واحكم جعلنا الله واياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه والله ولي التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صلاة العيدين مؤتمر سنوي أسلامي :

ان المطلب الاعلى والمقصد الاسنى من صلاة العيدين أمران شرعي وهو نيل الثواب لترقي الدرجات يوم القيمة والمقصد الثاني سياسي وهو احتفال المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها فى مؤتمرهم السنوي يحتفلون به فى معابدهم لتقديس خالقهم وتعظيم ربهم فى تلك الساعة الرهيبة التى تميد منها الجبال الراسيات عند ارتفاع أصواتهم بكلمة الله اكبر الله اكبر يلقي اليهم خطيبهم كلمة الالفة والاخوة والمحبة وتنظيم أمر الامة والدولة وجمع الكلمة فى تلك الساعة المباركة بلا فرق بين

العربي وغيره ولا بين طائفة وأخرى وهذه هى الغاية القصوى من الحظور المذكور بعد أداء الواجب الالهي عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا أشتكى عضو منه تداعا اليه سائر جسده بالسهر والحمى ان الحالة التي تكون فى يوم العيد ما بين راكب وراجل وبين غني وفقير تمثل حالة يوم القيمة فهذا عزيز وذاك ذليل لم يحض بالجائزة فقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المرفوع الى ابن عباس (رض) اذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة على أبواب السكك ينادون يا معشر المسلمين اغدوا الى رب كريم يأمر بالخير ثم يثيب عليه الاجر الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم واطعتم ربكم فأقبضوا جوائزكم فاذا صلوا نادي مناد الان ربكم قد غفر لكم فأرجعوا الى رحالكم راشدين فقد شرع الباري تعالى عيد الفطر بعد الفراغ من رياضة الصوم يجتمع فيه وجوه الامة وساستها من كل صوب وفج يصافح بعضهم بعضا ويتبرع الغني بمديد الرفد الى بني الانسانية بأداء صدقة الفطر الواجبة على كل من يملك نصابا فاضلا عن قوت يوم العيد وليلته عند الائمة الثلاثة وقال أبو حنيفة (رح) لا تجب الا على من ملك نصابا فاضلا عن مسكنه وأدارة بيته وعمله وفرسه وسلاحه فقد قال عليه السلام رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر رواه ابن الجوزي عن جرير ابن عبدالله وأنها طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال عليه السلام أدوا صاعا من تمر او شعير أو نصف صاع من بر او دقيق أو زبيب وكانت هذه الصدقة من جملة الموارد التي منحها الله تعالى لفقراء هذه الامة فى مثل هذا اليوم السعيد عملا بقوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى أي صلاة العيد وهذا مروى عن الامام علي رضى الله عنه رواة السنة وأيده عوف وابو العالية وقتادة وجماعة من السلف ان النبي

صلى الله عليه وسلم كان يأمر بزكاة الفطرة ثم يذهب الى صلاة العيد ويتلو
هذه الاية الكريمة وكذلك شرع الباري تعالى للمسلمين بعد اداء اركان الحج
وواجباته وبعد الوقوف بعرفة ونيل الغفران من الباري عز اسمه (عيدا)
ويوما أعني يوم ضيافة الله لخلقه ينحرون فيه الاضاحي كما هي عادة
الكرماء حين نزول الاضياف بهم ولذا كان صوم يوم العيدين حراما لانه
اعراض عن ضيافة الله تعالى عملا بقوله تعالى (فصل لربك) اي صلاة
العيد (وانحر) الاضاحي المشروعة الواجبة على الاحياء وعلى الموسر
المقيم لا على الفقير الذى لا يملك النصاب ولا على المسافر ولا الاموات
فان الانسان اذا فارق هذه الحياة ارتفعت عنه التكاليف كلها قال عليه
السلام فيما رواه الامام البخاري ومسلم رح (ما عمل ابن آدم من عمل
يوم النحر افضل من اهراق الدم وانها لتأتي يوم القيمة بقرونها واشعارها
واظفارها واظلافها وان الدم ليقع عند الله بمكان قبل ان يقع على الارض
فطيبوا بها نفسا) ومعنى طيب النفس ان يذبحها ويتصدق بها الى الفقراء
والمعوزين من خالص قلبه وطيب نفسه او ان يكون ثمنها مكتسبا من مال
الحلال وان تكون ثمينة صحيحة البدن فلا تجزأ الا ضحية بالعمياء ولا
العوراء ولا الجرباء ولا مقطوعة الاذن او الذنب ويجوز الاكل منها ولاسيما
الكبد وقال بعضهم بوجوبه ولا بئس بأطعام الغني منها ولاسيما جاره
وقريبه فقد صح عن سيد الكونين انه ضحى بكبشين اقرنين املحين واكل
من الكبد ومهما يكن من امر فان الاعياد الشرعية لم تشرع الا للصلاة
والاحتفال بطاعة الله تعالى في المساجد ومحفل العبادة واستماع
الخطب والمواعظ ونصائح العلماء والخطباء ومجالسة الاتقياء لكي نسير
على سيرة سلفنا الصالح من الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة
والسلام والتخلق بالاخلاق الفاضلة التي جاءنا بها الناصح العظيم القائل

انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ولكي نستمد ونستضيء من تلك الروحانية السامية وما انطوت عليه من الفضائل والشمائل الكريمة والاخلاق المستقيمة من الحزم والعزم وقوة الايمان والشمم والوفاء ولكي نستمد الاخلاص في الحق والواجب والصبر على مقاومة الخطوب والكوارث والشجاعة على مقارعة الحوادث والمدلهات كما كان عليه سلفنا الصالح وهذا هو الذي نرقبه من ارشاد العلماء في مواسم العيد وليس الغرض من العيد الزينة والتبهرجة والغوغاء في الازقة والطرقات والمهرجانات المنافية او المخلة للادب الاسلامي الرفيع . ولاالتهافت على حانات الخمور وتعاطي المسكرات ولعب النرد والقمار في أيام العطالة والبطالة وليس المراد من العيد التراداد على أبواب المومسات والاتصال بالعاهرات ولا التزي بالازياء الخليعة التي تتعاطاها وترتديها اليوم المرأ المسلمة العربية من كشف الساقين والذراعين والعضدين وكشف الراس والشعر وكل ذلك عورة في نظر الدين الاسلامي الحنيف مع كشف الصدر والنحر وشد النطاق وسط قامتها مع ذلك الثوب الرقيق الذي يمثل جسدها ذلك الزي الذي يتبرى منه دين موسى وعيسى ودين الغيرة والشهامة والذي يتبرىء منه الاجانب انفسهم والجاهلية الاولى ونسيت المراة المسلمة المؤمنة قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضض من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن) « الاية » وما كنا نامل ان يطبق هذا الحديث الشريف في هذا الزمن النحس ولكنه قد وقع وهو ما رواه مسلم عن انس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات متمائلات رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة

ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا سنة وكما روي في الجامع الصغير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان آخر الزمان يرفع الله من الارض اربعة اشياء يرفع الله البركة من الارض والعدل من الحكام والحياء من النساء والغيرة من الرجال :

اين الحياء واين الدين وا اسفى
ضاع الحياء وضاعت حكمة الاول
فالموت خير لزوج لم يصن شرفا
ولم يك مثل الضيغم البطل

ولقد احسن من قال :

الام الميل عن طرق الرشاد
وفيم العدل عن نهج السداد
هجرنا ديننا هجرا طويلا
فأصبح عزنا بادي النفاد
وشتت شملنا عرض تبدى
يمزق في النواحي والنوادي
فأي فتى له عقل ولب
يشاهد دينه مرمى الاعادي
ويرضى أن يعيش بعيش ذل
ويرغب في حياة باضطهاد
فلو انا نصرنا الدين سدنا
ولكنا طرحناه بوادي
وليس لطالب العليا سبيل
وينجح من الى فسق ينادي
ينادينا الهوى فنجيب جمعا

ولا نصغى الى داع الرشـــــاد

تنبهنا النوائب كـــل يـــوم
ولم تزل المعاصي بأزديـــــاد

ويخطبنا الخطيب وليس فينا
نجيب دعوة البطـل المنـادي

فلا وحياتكـــم ان دام هــذا
فهيهات الوصول الى المــراد

ولو الفسق والفحشاء فينــا
لما برزت تحاربنـــا الاعـــادي

ولا خرجت نساء الحي تسعى
الى الاسواق في حال الفســاد

فشدوا أزركم بالذيـن تمحا
خطوب قدرها فوق العـــداد

فما لكم اعتذار يوم حشـــر
يهدي الله في الافاق بادي.

الزكاة المفروضة ومحاسنها فـي نظر الدين الاسلامي :

قال تعالى (والذين يكنـــــزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يـــوم يحمى عليها فى نار جهنـــم فتكوي بهـــــا جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا مـــا كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقال صلى الله عليه وسلم ان الـذي لا يؤدي زكاة ماله يخيل اليـــه ماله يوم القيامة شجاعا اقرع لـه زبيبتان فيلزمه ان يطوقه فيقـــول أنا كنزك أنا مالك ولله ميراث الســـــماوات والارض فما لهم يبخلون عليه بملكــه ولا ينفقونه فى سبيله رواه احمد ان الله تعالى قرن الزكاة مع الصلاة فـــي

نيف وثلاثين موضعا من كتابه العزيز الدلالة على تأكدها فى نظر الدين الاسلامي الحنيف وانها الركن الاعظم من اركان الاسلام والواجب الانساني الاهم من واجبات الانام وقد أجمع العلماء على ان منكرها كافر وان المعترف بفرضيتها الممتنع عن أدائها فاسق فاجر وانه تعالى اوجب فى اموال المسلمين ربع العشر تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم لسد حوائجهم الضرورية كي لا يبقى فقير معوز فى الامة وهو اعظم مبدأ اشتراكي قام الدين الاسلامي منذ عهد النبوة الاسلامية المقدسة ودلت هذه النظرية الصحيحة التى سنها الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم واوجبها على امته بوحي من الله تعالى بلا ريب . على روحية الاسلام الوثابة القائمة على المساوات الحقيقية لا فوضوية يسلب قويها مال ضعيفها ولا راسمالية تمتص دماء الشعوب وتحتكر الاموال الطائلة لطائفة معينة تمنع زكاة أموالها عن فقراء أمتها ومعوزيها ولا شيوعية تسلب أموال الفرد والجماعة وتستبد بها ولقد اسفر الصبح لذي عينين ان دين الاسلام دين الهي سماوي جمعت فيه محاسن الاديان السماوية كلها ومحاسن مباديء الامم بأسرها فكل الصيد فى جوف الفراء ولا ريب فانه دين حقيقي معتدل متجاف عن جانبي الافراط والتفريط . ويستنبط من هذه الاية الكريمة بان هذه الاموال الطائلة التي يتصرف فيها لن تخصه وحده بل جعل للقصير واليتيم والارملة وابن السبيل ومنقطع الغزاة والعاملين عليها والمجاهدين فى سبيل الله قسطا واجبا يؤديه بعد حولان الحول لهؤلاء الاصناف الثمانية المذكورة فى الاية الكريمة بعد ان يتم النصاب المذكور وهو من الذهب عشرون مثقالا وفيها نصف مثقال ومن الفضة مئتا درهم وفيه خمسة دراهم وكلما زاد فبحسابه بشرط ان يكون فاضلا عن مسكنه وأدارة بيته وكسبه . ولابدع فى ان الزكاة من أعظم البواعث لجمع الكلمة وميل القلوب لان الانسان عبيد الاحسان وانها السبب الوحيد لتحقق عرى الرابطة بين الامة على اختلاف

طبقاتها وتساوي أفرادها والاشتراك فيما يهمها في معترك حياتها .
وليست الزكاة الا قانونا اسلاميا وحكما شرعيا تمسكت به رجال
المسلمين وعظمائها من سلف الامة وخلفها قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل
وانك مهما امعنت النظر في تلك القرون السعيدة لا تجد يتيما ذا
مقربة او مسكينا ذا متربة بل ولاتجد احدا يأن من الم الفقر والجوع
والعرى ذلك لان الاغنياء حين علموا واعتقدوا بان الزكاة حكم شرعي وأمر
سماوي شمروا عن ساعد الجد لادائها وصرفها لمستحقيها عن طيب
نفس وصدق عزيمة وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى ان الحكمة في
اخراجها من وجوه اما اولا فان المال محبوب بالطبع فاذا استغرق القلب
فى حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن حب الطاعات المقربة
اليه تعالى كما وقع لثعلبة ابن حاطب وكان يدعى حمامة المسجد فأقتضت
الحكمة الالهية ايجاب الزكاة فى ذلك المال الذى هو سبب البعد عن الله
تعالى فيصير بالاداء متقربا الى الله تعالى متعرضا لجلب رحمته
ورضاه ... وأما ثانيا فلان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا
والميل الى شهواتها ولذاتها كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام
(ربنا انك أتيت فرعون وملئه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا
عن سبيلك فأوجب الزكاة تطهيرا للمال الذى هو سبب القسوة وقهرا
للشيطان) قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) . وأما ثالثا فأن الحكمة
التشريعية بصرفها لمستحقيها أمتحان البارى لعبده المؤمن لان التكاليف
الشرعية شاقة على العبد وفى أخراج المال مشقة أعظم فاوجب البارى
الزكاة على العباد ليمتحن ارباب الاموال فى أخراجها ليميز الله
الخبيث من الطيب ولتجزي كل نفس بما تسعى وقد ذكر العلماء (رح)
اسبابا اخرى لوجوبها فأنها طهرة للاموال وطهرة لصاحبها من رجس
الذنوب كما قال تعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها وتزكيهم)

وانها ترفع البلاء والامراض والاقدار المعلقة عن صاحبها فقد قال الرسول الاعظم صلى الله وسلم (الصدقة تدفع سبعين حوبا من الشر) وان فيها ادخال السرور على المؤمن قال عليه السلام (موجبات المغفرة ادخال السرور على أخيك المسلم واشباع جوعه وتنفيس كربه) وفيها محافظته الاموال وكثرتها بسببه قال تعالى (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال عليه السلام (ما تلف مال فى بحر ولا فى بحر الا بمنع الزكاة) وقال أيضا حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقلبوا البلاء بالدعاء والتضرع وانها تظل صاحبها يوم القيامة من شدة حر الموقف فقد قال عليه السلام فيما رواه البخاري ومسلم .. سبعة يظلهم الله فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله الامام العادل وشاب نشيء فى عبادة ربه عز وجل ورجل معلق قلبه فى المساجد اذا خرج تمنى ان يعود ورجلان تحابا فى الله اجتمعا وتفرقا عليه ورجل طلبته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين . ورجل تصدق بصدقة اخفاها حتى لا تعلم شماله ماذا تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقد ذكر فى الهداية ان الحكمة فى مشروعيتها هو شكر نعمة المال الذى من الله به على عبده امتحانا منه لخلقه والله الهادي الى الصراط المستقيم .

الصيام الشرعي ومحاسنه الطبي والاخلاقي :

(قال تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) خاطب الله كل مؤمن ومؤمنة من اهل الايمان بأداء هذا الواجب المقدس الا ما استثناه القرآن او الشرع فكان ركنا عظيما فى كل دين من الاديان السماوية السالفة وانه من أقوى العبادات البدنية واعظم ذرائع التهذيب النفسي والخلقي وهذا هو الغرض من تشبيه قوله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) وكان

هذا الواجب مبنيا علـــى أمرين الاول انه تكليف الهي وامر ســماوي رباني يجب الامتثال له ويجب ان نعتقــد بان الله تعالى غني عن طاعتنا غـــير محتاج الى عبادتنا ولكن التكليــــف لاقامة الحجة لك او عليـــك وليميز الله الخبيث من الطيـــــب وليتبين المفسد من المصلح يوم كشف الحقائق ذلك هو المطلب الاعلى والمقصد الاسنى من العبادات فان النفوس الزكيــــة الطاهرة الابية اذا تهذبت وانقـــــادت لخالقها خصوصا فى مثل حالة الصوم فانه عمل لا يدخله رياء ولا ســـمعة علمت نفسه ان لها ربا يطلع علـــى خائنة الاعين وما تخفي الصـــــدور تجنبت عن المظالم والشرور وقدمـــت على فعل الخير . ولان الغني اذا ذاق الم الجوع واجهده العطش يتذكـــر عندئذ احوال البائس الفقير فيواسيا بماله ويعطف عليه بمـــا جـــــادت بـــه يــده .

ومن حكم الصوم ايضا هو كســر النفس الامارة بالسوء ومقاومـــة الهوى والشيطان فانها اذا كانت منعمة دوما باستيفاء اللذات والشـــهوات طغت وتجبرت فيزداد شرها ويعظم بطرهـ وربما يصدر منها ما لا يرضى اللـــه ورسوله فكن أيها المؤمن العريــــق ايمانك الخالص على حذر منها فــان اعدى أعدائك نفسك التى بين جنبك قال فى جمع الجوامع واذا لـم تطعك الامارة بالسوء فحاربهـــا أي بتـرك شهواتها ولما رجع الرسول الاكرم مـــن غزوة احد قال رجعنا من الجهــــاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهو محاربة النفس والهوى فأوجب الله عليها هذه الرياضة النفسية تأدبا لهـــا وامتحانا لشهواتها كما اخبر الرسول الاكـــرم (ص) بقوله ان الشيطان يجري مـــن ابن آدم مجرى الــدم فضيقوا مجاربه بالجوع وقوله عليه السلام يا معشـــر الشباب من استطاع منكـــم الباءة فليتزوج فأنه اغض للبصـــر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصـوم فأنه له وجاء اي ضعف للشـــهوة البشرية تمنعه عن ارتكاب الجرائـــم والمآثم ولقد احسن من قال :

ألنفس كالطفل ان تهمله شب على

حب الرضاع وان افطمت ينفطم

وخالف النفس والشيطان واعصبهما

وان هما محظاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما

فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

الامر الثاني نصت الحكماء على ان المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء فاذا أستراحت المعدة عند رياضة الصوم حسنت وقويت وصفت حواسها الظاهرة والباطنة بترك شهواتها تجلت فى عالمها وأبتهجت بصفاتها وأتصلت بخالقها فحينئذ يكون العالم السفلي له شبه بالعالم العلوي فى المواسم الرمضانية بخلاف النفس البهيمية المشغولة دائما فى استيفاء ألّلذات وأتباع الشهوات الذين وصفهم الله تعالى فى كتابه المقدس (أنهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) لا يزنون عند الله جناح بعوضة فهم يرتعون ويسرحون كالانعام لا يتمكن احدهم على مقاومة نفسه وشهواته ولذاته كالحيوانات العجم ولا يسعه ان يعرج بها الى اوج معارج الكمالات الحقة بل تهوى نفسه الى حضيض شهواتها فحينئذ لا تمتاز النفس الانسانية عن النفس البهيمية قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فأن الجحيم هي المأوى) .

وان اعظم تحليل صحي ما قاله فخر الانبياء وقدوة الحكماء (الصوم مصحة) واذا حللنا ما قاله الرسول الاعظم نجد فى الصوم فائدة عظيمة لحفظ الصحة ولاسيما مرض المعدة وسؤ الهظم وبقية الاخلاط المعدوية فأن وجود بعض الحيوانات الضارة اذا لم يدخل الغذاء جوف الانسان

مدة زمن الصيام كان السبب الوحيد لهلاكها وهذا من تأثير الصوم فحسب وان كثيرا من أطباء الغرب وفلاسفتها يصومون الاسبوع أو الاسبوعين لهذه الغاية المطلوبة ولقد صرح الطبيب الالماني العالمي بذلك فى مؤتمر الاطباء المنعقد فى بغداد سنة خمس وستين بمحضر جميع الاطباء وأنه بنفسه كان يستعمل الصوم لبعض الامراض الصحية . كيف لا وان الصوم فى شريعة الامة المحمدية من أجل الطاعات وأعظمها شأنا وانصعها برهانا واظهرها اثرا وأعلاها شرفا وكل من سبر نصوص التوراة والانجيل يعلم يقينا بأن الصيام ركن عظيم من اركان دينهم فالتشبيه فى هذه الاية الكريمة من تشبيه الفرض بالفرض بلا ملاحظة كمية أو كيفية أو هو اشعار بوحدة الدين فى أصوله ومقصده وان شرائع من قبلنا شرع لنا اذا قصها الله علينا بلا نكير وكذلك الصيام كان معروفا من العبادات البدنية لدى الرومانيين واليونانيين والمصريين أيام وثنيتهم ولا يزال وثنيوا الهند يصومون حتى وقتنا الحاضر فقرر الاسلام مشروعية هذه الفريضة القاطعة فى شهر خاص وهو شهر رمضان فقال تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) فالواجب المحتم على الصائم المحافظة على الصمت وملازمة الادب مع الله تعالى والمثابرة على قراءة القرآن وحضور المواعظ وصلاة الجمعة والجماعة والتراويح والابتهال الى الله تعالى فى الخلوة والجلوة فان المقامات العالية يوم القيامة لا تنال الا بالصبر على مضض الطاعة فان من جد وجاهد وجد ومن زرع حصد وان المرغوب لا يحصل الا بالتعب وان العناية لا تدرك الا بالطلب ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر . وليس الصيام مجرد جوع أو عطش وانما هو اخلاص لله تعالى وطاعة وامتثال وقيام فى موقف العبودية للكبير المتعال وسمو

بالروح الانساني الى معارج الكمال وتصفية للنفس من شوائب المادة وجلاء للقلب من صدى الهواجس وتطهير للجوارح من الاثام ومران على الصبر واحتمال الصعاب فهو رياضة روحية فى كل عام للامة الاسلامية التى فضلها الله لتكون خير أمة اخرجت للناس . فما احلا نسيمات السحر اذا هبت على قلوب أهل الايمان وما اغلا نظرات الاله على صوام رمضان وما اجلا واسمى ظهور تلك الليالي ليال الاحسان والغفران ليلة خلوة المدنف المريض يطلب الشفاء والرضى من طبيبه وطلب العفو والمغفرة من الزلة والهفوة من رقيبه .

هذا زمان الصلح ما اقعدك	عن باب من بالخير قد عودك
ترجو الرضا من غير ابوابه	وعن طريق الرشد ما أبعدك
كن راجيا مستبشرا خائفا	من سطوة المولى تنل مقصدك
فان تجوت اليوم ما سطرت	ايدي خطاياك فما أسعدك

لذا يقول صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند ملاقات ربه عز وجل وقال عليه الصلاة والسلام الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل أني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصوم لي وانا الذي اجزي به رواهما البخاري عليه الرحمة والاحاديث فى ذلك كثيرة عليك بمراجعة كتب الاحاديث والمواعظ وهذا ما ذكرناه فى فضائل الصيام واما حكم من افطر عمدا بدون عذر ولا مرض فجزائه القتل لا غير بالاجماع فقد ذكر فى البزارية وغيرها ما نصه (ان من افطر فى رمضان عمدا يؤمر بقتله لأن ضيعة الفاحش دليل الاستحلال) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من افطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وان صامه رواه الترمذي والبخاري واخرج أبو يعلي عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن ابتنى الاسلام من ترك واحدة منهن فهو كافر بها حلال الدم شهادة ان لا اله الا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان وفي رواية من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله ذكره فى الزواجر واقول من الممكن ان يطبق هذا الحديث على المنكر فحسب أو على المتجاهر بالعصيان مفتخرا به لان أستحلال المعصية كفر بالاجماع وهذا الذي نشاهده من عصاة زماننا الذين تباعدوا عن تعاليم دينهم وشريعة نبيهم فان الدين الاسلامي الحنيف قد أوجب على كل مؤمن ومؤمنة فرضية صيام رمضان بشرط ان يكون بالغا مقيما صحيحا غير مسافر ولا مريض لقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر) وكذا الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء فقط عند أبي حنيفة رحمه الله ومع الكفارة عند الشافعي رحمه الله واما الشيخ الفاني والمرأة العجوز فعليهما الكفارة فقط لقوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه) أي لا يطيقونه ويتكلفونه (فدية طعام مسكين) قدر سحوره وفطوره أو هى كصدقة الفطرة وكذلك من ألم به مرض العين واخبره طبيب مسلم حاذق بفقدان بصره فعليه الفدية لا القضاء ومن أكل أو شرب ناسيا فصومه صحيح ولا قضاء عليه لقوله صلى الله عليه وسلم (من أكل أو شرب ناسيا فانما اطعمه الله وسقاه) واما من أكل عمدا أو شرب عمدا فعليه كفارة الظهار عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله عليه القضاء فقط وأما من جامع نهارا في رمضان فعليه كفارة الظهار بالاجماع وهى عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو اطعام ستين مسكينا أو كسوتهم . ولقد ثبت فى صحيح

البخاري أن رجلا جاء الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقـال يا رسول الله هلكت قال مالك قـال وقعت على امرئتي وأنا صائم فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم هـل تجد رقبة قال لا قال فهل تسـتطيع تصوم شهرين متتابعين قال لا قـال فهل تجد اطعام ستين مسكينا قـال لا قال فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نحن على ذلك أتى النبي (ص) بعرق أي مكتل وزنبيل قـال أين السائل فقال انا ذا قال خذ هذا وتصدق به فقال الرجـل اعلى افقرمني يا رسول الله ما بين لابتيها يريد الحرتين أهل بيت افقر من أهل بيتي فضحك النبي (ص) حتى بدت انيابه قال اطعمه أهل بيتك والله ولـي التوفيـق .

بـاب أثبـات عـدد ركعات صـلاة التراويـح :

فقد ثبت فى الحديث الصحيح (ان من قام رمضان أيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) وقد ذكـر العلماء ان أجر القيام يحصل بصـلاة التراويح وله الحظ الوافر منهـا وان السنن المؤكدة وغيرها يجوز ان تصلى قعودا ولهم نصف الاجر الا ركعتـي الفجر وصلاة التراويح للدلالة علـى تأكدهما ذكر ذلك فى الدر المختـار وغيره فقد ثبتت سنيتها المؤكـدة بأنها عشرون ركعة بالتواتر فقد روا جمع عن جمع بحيث يحيل العقـل تواطؤهم على الكذب وهذا هو العدد الموروث الثابت الى يومنا هذا والذى تتعاطاه البلاد الاسلامية جمعاء وعلـى الاخص منهم أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة وهم مصدر التشريع الاسـلامي وكذا من جاورهما من البلاد الاسلامية عملا بقوله صلى الله عليه وسـلم (ما اجتمعت أمتي على ضلالة) وهذه كتب الفقه على المذاهـب الاربـع المنتشرة فى انحاء العالم الاسـلامي تنص على هذا العدد المذكور وعليـه قام اجماع الامة خلفا عن خلف مـع العلم ان اجماع الصحابة اقـوى الاجماع وان أول من قام بهذه الصلاة

بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام وبهذا العدد المتوارث هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أمر أبي بن كعب أن تصلى بجماعة واحدة بعد أن كانوا يصلونها فرادى وهذا العدد المروى عن سيدنا عمر انما هو بطريق الدراية والمشاهدة لانه أعلم بحركات رسول الله (ص) وسكناته والمروي عن البخاري رحمه الله انما هو بطريق الرواية وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاها أربع ليال في المسجد وصلاها ثمانية في البيت وما أدراك أنها كانت من صلاة التهجد وعلى هذا قام أجماع الامة فأنه مقدم على خبر الواحد الا من أراد التساهل و لتهاون في أمور الدين وقد ثبت ان أفضل الاعمال الى الله أحمزها اى أشقها ، وقد مر الامام على رضى الله عنه بمسجد الكوفة ورأى اقبال الناس عليها والمساجد منورة فقال نور الله قبرك يا عمر كما نورت علينا مساجدنا وقدنص الامام مالك في الموطأ بأنها ست وثلاثون ومنها صلاة الوتر واكثر المروى عن عمر رضى الله عنه أنها عشرون ركعة وهو الذى قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي . وقال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، ذكر ذلك الالوسي رحمه الله فى كتابه (الغالية صحيفة ١٢) مع ان الذى قام عليه أجماع العلماء ان الاحكام الشرعية الفقهاء المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله لا من كتب الاحاديث ولا يعرف طريق الاستنباط الا مهرة العلماء كالمذاهب الاربعة وأمثالهم ممن بلغ درجة الاجتهاد فلا ندع مجالا لاحد ان يتلاعب أو يتهاون بمقدرات هذا الدين الحنيف فيفقد أحكامه ومحاسنه وانما هو خاص بمن له علم ومقدرة لاستنباط الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة والاجماع والقياس وعليه قوله تعالى : (ولو ردوه الى الله والى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)وهم العلماء فلا يجوز لطبيب أو

مهندس مثلا ان يتداخل فى مضمارهذا السبق كما لا يجوز للعالم ان ~~تعبدية أم غيرها انما تؤخذ من نصوص~~ يتداخل فى شؤون الطبيب أو المهندس لان الاحاديث الشريفة منها الناسخ ومنها المنسوخ والموضوع ومنها الشاذ والمرسل والمطلق والمقيد والعام والخاص ومنها المنكر والمعلل ومنها الحسن والصحيح والمتواتر ولا يعرف ذلك الا المتضلعون فى العلم البالغون حد الاجتهاد فمدار العمل فى المحاكم الشرعية وفى انحاء العالم الاسلامي أجمع هو خاص ومنوط بالاحكام الشرعية المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله وممن له المام تام بمعرفة أصول الحديث والتفسير المشار اليهم بقوله تعالى (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقوله (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فالفقيه هو العالم بالاحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية فلا يجوز للعامة أو جهلة الناس ان يتلاعبوا بمقدرات هذا الدين القويم الذى أختاره الله وارتضاه للامة الاسلامية دينا بقوله : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) جعلنا الله واياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الحج مؤتمر عالمي أسلامي :

(قال تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فأن الله غني عن العالمين) أخبر البارى تعالى الامة المحمدية بأن أول بيت وضعه الله فى الارض تحجه ويقصده المؤمنون تجاه بيت العزة فى السماء الذى تحجه الملائكة هى الكعبة المشرفة وهى التى أراد الله سبحانه عزها والطواف بها يلوذ بها كل مؤمن

ومؤمنة يرجو من الله اللطف والعفو والمغفرة لكي يكون آمنا من النار فكأن كمن يقع دخيلا ولائذا بدار ملك أورجل عظيم يرجو منه السلامة والمساعدة على النجاة والخلاص من المخلوق فالخالق سبحانه أشفق وأرحم بعبده الهارب من الذنوب اللائذ بالباب والاعتاب يرجو العفو عن الذنوب من الملك الوهاب هذا وأن الوقوف بعرفة له شبه بحالة الموقف يوم القيامة فأن الكل حاسر الرأس حافي الاقدام خالع ثياب الحشمة والعظمة وكل مخيط مرتد وزرة واحراما رامق بطرفه الى السماء ينادي الباري تعالى بالتلبية لا يتذكر فى تلك الساعة اهلا ولا ولدا ولا عشيرة سوى الرضا والقبول من الباري عز أسمه وجلت عظمته وعلمت نفسه ان لها ربا يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . ولعمر الحق ان الحج مؤتمر أسلامي عام وأكبر نقابة فى الدنيا تجتمع فيه وجوه الامة وامرائها وزعمائها من كل فج عميق تبحث فى شؤون بلاد المسلمين وثغورهم ومصالحهم الخاصة والعامة وتوازن بين ماضيهم وحاضرهم وتدافع عن حقوقهم وحرياتهم وتؤلف بين شعوبهم وقبائلهم وتربط أواصر المحبة والالفة بينهم وتنزع الاضغان والاحقاد من قلوبهم فيصبحون بنعمة الله أخوانا . واذا ما وصل الحاج الى البيت الحرام وقبل الحجر الاسعد وهو يمين الله في أرضه يشهد لمن أستلمه أو قبله أو اشار اليه يوم القيامة والغرض من ذلك اظهار العبودية لله تعالى وأمتثال أمره وله نظائر كثيرة كأمره تعالى للملائكة بسجودهم لادم عليه السلام وأمتحانه لابراهيم بذبح ولده اسماعيل عليهما السلام وابتلائه لقوم طالوت بعدم شربهم من النهر بعد العطش ثلاثة ايام قال تعالى (ولما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده) الاية وكتولية اسامة ابن زيد أميرا على جيش العسرة مع وجود عظماء الامة وهم الخلفاء الراشدون وأضرابهم فليس الغرض من ذلك كله الا اظهار الاطاعة لا غير ..

ومهما يكن من أمر فان الله تعالى اوجب الحج على المستطيع من الامة وهو الذى يملك الزاد والراحلة ذهابا وايابا وجعله ركنا من أركان الاسلام وواجبا من واجبات الانام فمن آثر زيارة جبال لبنان على زيارة جبل عرفات وعدم الحضور بتلك البقعة المباركة فأمره موكول الى الله تعالى فأنه تعالى قال (ومن كفر) اي بالحج ولم يرجحه برا (فأن الله غني عن العالمين) فالتعبير بلفظ الكفر دليل على صحة الحديث المروي عن الامام علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال من ملك الزاد والراحلة ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا والذى يؤيده الاثر المروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من ملك الزاد والراحلة ولم يحج فاليؤخذ منهم الجزية ما هم بمسلمين . وهل هو واجب على الفور أو التراخي فيه خلاف بين علماء المسلمين ولكن الفرصة اذا سنحت فالواجب على المسلم الحقيقي ان يغتنمها خوفا من الفوات فقد قال عليه السلام (اغتنموا الفرص فانها تمر مر السحاب) وقال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض ولا تغتروا بهذه الحياة الفانية السريعة الزوال فان الموت يأتي بغتة ولابد من صنعا وان طال السفر . ولقد شاهدت بعض الاصحاب يقدم رجلا ويؤخر اخرى لزيارة بيت الله حتى فاجئته المنية بأقرب وقت وبقى مشكول الذمة محروما من هذه النعمة كيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترفع ابل الحاج رجلا ولا تضع يدا الا تناثر الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر وقال عليه السلام الحاج يشفع في اربعمائة رجل من اهل بيته وقال يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان للحاج حين يخرج من بيته ان راحلته لا تخطو خطوة الا كتب

الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة فاذا وقف بعرفة فأن الله تعالى ينزل الى سماء الدنيا فيقول أنظروا الى عبادي اتونى شعثا غبراً اشهدكم اني قد غفرت لهم ذنوبهم وان كان عدد قطر السماء ورمل عالج ...

هذا وأن حكمة رمي الجمار ونحر الهدي الواجبين فقد توارثناه من شريعة ابراهيم واقره الشرع المحمدي قال تعالى (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) وعلى كل فأنا مأمورون بالذبح والآمر حكيم وأحكام الله لا تخلو من الحكم والمصالح وان كنا لا نطلع على تلك الحكمة لقصور مدركاتنا فانه العليم بأسرار العباد وأحوالها واذا تأمل العاقل كثرة الحجاج الوافدين البالغ عددهم مئات الالوف وكل واحد ينحر هديا أو اكثر ليجزم طبعا وعقلا بأن هذا الحيوان سوف يفقد من البلاد الحجازية جزما مع وجوده كثرة وافرة فسبحان المتصرف في الكائنات ولا يعد نحر الهدي والضحايا من الاسراف والتبذير فى شيء لان الحكيم العليم قد أمر به فيجب علينا الامتثال ولايزال الحجازيون المجاورون والسودانيون يستفيدون من هذه اللحوم الشيء الوافر ويعملونه قديدا يدخرونه لموسم الشتاء بكثرة ولو توسطة الحكومة الحجازية بجلب شركة اسلامية لديهم معامل لحفظ هذه اللحوم بالوسائط وتوزيعها للمجاورين بثمن يسير وهو أجرة العمل لا غيرلم يبق ريب ولا اشكال في المسألة والله ولي التوفيق .

الاخلاق والواجبات من ضروريات البشر :

وقد أجتمع كل ذلك في آية فذة من كتاب الله تعالى وهى قوله عز وجل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربا وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم

ما تفعلون نزلت هذه الاية الكريمة بعد قوله تعالى وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فبين في هذه الاية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فما من شيء يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب ان يؤتي أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الاية الكريمة وأنها من جوامع كلم القرآن الذى اعترف واذعن العدو والصديق بكونه كتابا سماويا ومنزلا الهيا فقد روى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد ابن المغيرة وكان من فصحاء قريش وبلغائهم هذه الاية فقال يا ابن أخي أعد علي هذه الاية فأعادها عليه ثانيا فقال له الوليد والله ان فيه لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق والله ما هو بقول البشر ومر عثمان ابن مظعون رجل من الصحابة يقرأ هذه الاية فقال ينبغي ان يكون صاحب هذا الكلام الها فاسلم وكان هذا سبب اسلامه فيستنبط من مغزى هذه الاية الكريمة ان اتباع الاوامر واجتناب المناهي عليهما مدار الايمان وتكامل الديانة الاسلامية وانه تعالى لا يأمر بشيء الا وهو حسن والعمل به والمثابرة عليه لاحسن وانه لسعادة دنيوية واخروية ولا ينهى عن شيء الا وكان قبيحا والعمل به والمثابرة عليه أضر واقبح والحكيم العليم بالاسرار لو لم يعلم أضراره الفادحة لما نهى عنه وأوعد لمرتكبه الجزاء والعذاب الابدي فعلم ان اتباع الاوامر واجتناب المناهي هو توفير الكمال النفسي للانسان وتيسير أسباب السعادتين الدنيوية والاخروية .

وتمهيد طرق التكامل الاجتماعي والسياسي فما من امة ينبذ دينها واخلاقها وراءها ظهريا الا وكانت السبب الوحيد لتدهورها وانحطاطها بين اصناف الامم فالانسان انسان باخلاقه الفاضلة وآدابه السامية الرفيعة يمكنه ان يعيش بين أقرانه في هذه الحياة مطمئنا هادي النفس

حسن التصرف فى الامور ليكون سعيدا مهما نقصه من مطالب هذه الحياة قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) واذا سائت أخلاقه وارتكست فى مهاوي الجهل والشهوات طباعه عاش تعسا فلق النفس منغص العيش مهما اوتي من الحطام ورزق من مظاهر الحياة ويكفى على ذلك شاهدا قوله صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني منازل يوم القيامة احاسنكم أخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وأعظم نصيحة منه ووصية أخلاقية اوصاها لمن ولاه أمر اليمن فى حياته معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال اخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث واداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ والين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه فى القرآن والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل وانهاك ان تشتم مسلما او تكذب صادقا او تصدق كاذبا أو تعصي اماما عادلا وان تفسد فى الارض واذا اسئت فأحسن يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر واحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية و تق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد هذا الحديث الشريف ان يكتب بماء العين أو بماء الذهب وهذا هو منتهى الاخلاق المصطفوية التى لا يمكن ان ينطق بها الا من اوتي الحكمة وفصل الخطاب .

ويستنبط من فحوى هذه الاية الكريمة ان اظهار الواجبات ونشر الفضائل والاخلاق أمر ضروري لاصلاح نظام البشر فأول واجب أمر الله به الامة العدل وهو أساس الملك ونظام حياة الامة والدولة وسعادتها

ومعناه الشرعي وضع كل شيء في محله بلا غلو ولا زيادة ولا نقصان ومقابلة الظلم والجور واذا أمر الاسلام بالعدل ونهى عن الظلم فأنما يريد بخطابة كل واحد من البشر فقد يظلم الانسان نفسه بمعصية الله فيكون السبب الوحيد للعذاب الابد وقد يظلم عياله بصرف ما جمعه لما حرمه الله وترك أولاده يكابدون عناء الفقر والفاقة واذا خص بعض الحكام بالذكر أحيانا فلكون الظلم منهم أعم ضررا واسوأ اثرا قال تعالى (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) فالواجب علينا تأييد الحق والخير والفضيلة وحمل الكافة على العدل ومكارم الاخلاق والامر الثاني الاحسان وهو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فأنه يراك وهذا اعلا واسمى درجات الاحسان وقد كتب الله الاحسان على كل شيء حتى الرفق بالحيوان والرحمة والشفقة عليه كيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه فيما يرويه البخاري عن شداد بن أوس ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته يأمرنا نبي الرحمة والانسانية ان لا يكلف الحيوان أكثر من طاقته لان في القسوة عليه أيلاما له وهو ذو نفس حية تحس بالالم واذا كان الامر كذلك فالرفق بالانسان والشفقة عليه أحرى وأولى لاسيما في الضعفاء والبؤساء الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا في رفع اذى يلحقهم أو مكروه ينزل بهم لاسيما من كانوا لك جيرة أو صلة رحم وهو الامر الثالث وهو ايتاء ذي القربا . فقد ذكر الباري تعالى ثلاثا مقابل ثلاث فذكر العدل وهو الانصاف والمساوات في الاقوال والافعال وذكر فى مقابلة الفحشاء وهو ما قبح من الاقوال والافعال . وذكر الاحسان وهو أن تعفو عن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر فى مقابلة المنكر وهو ان تنكر أحسان من أحسن اليك . وأمر بأيتاء ذي القربا والمراد به صلة الرحم والقرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم . وذكر فى مقابلة

البغي وهو ان يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم أو يحرسهم من ميراثهم ومن المعلوم ان من أحرم وارثا عن ارثه أحرمه الله رائحة الجنة وهذا هو منتهى الظلم وقد يكون المراد بالفحشاء أعم من هذا فيعم كل قبيح نهانا الشرع عن قربانه كالزنا واللواطة وشرب المسكرات والمخدرات التي عم ضررها وأنتشر شرها وتزايد اذاها وقد الفت كتب ورسائل من قبل فلاسفة الغرب ومهرة الاطباء المحنكين المسلمين بقبح هذا المضمار السيء وليس الباعث على ذلك احترام الدين أو الرأى العام فحسب بل لما ظهر لديهم من الفتك بالصحة كالامراض الزهرية والافرنجية وغير ذلك فما أعظمه من خطر على الصحة وفتك في الاموال والاعراض النزيهة البرئية وتدعى في نظر الشرع الموبقات اي المهلكات التسع وهي التى قبحها الشرع قبحا ذاتيا وحكم بها العقل ومجها الطبع السليم البشري وأعظمها بعد الاشراك بالله القتل ثم الزنا واللواطة والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر والربا وأكل مال اليتيم بغير حق وشرب الخمور وعقوق الوالدين المسلمين وانهاها ابن حجر في الزواجر الى (٤٦٧) كبيرة نذكر بعونه تعالى اعظمها اما الشرك فعقوبة لا تغفر قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) من بقية الموبقات ما لم يكن عن استحلال أو امتهان قال تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) . صدق الله العظيم .

الاشراك بالله جريمة لا تغتفر :

قال تعالى (ذالكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما أستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) أخبر

الباري تعالى بان جميع المخلوقات من ملك مقرب أو نبي مرسل أو غير ذلك من المخلوقات لا يتصرف في ملكوت السماوات والارض سواه تعالى له الحكم وله الامر كله وان ما عداه سبحانه ليس الا عبدا مخلوقا لله لا يملك القطمير وهو القشر الملتف على النواة قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام (وهو الذي يميتني ثم يحيين والذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين) وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فأدعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين وقال تعالى (ان كل من في السماوات والارض الا اتي الرحمن عبدالقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا) ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا بشير ونذير لقوم يؤمنون وقال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وعلى ما قرأت أو سمعت أيها المسلم الموحد من هذه الايات العظام فان من اعتقد ان مخلوقا من مخلوقاته يتصرف في ملكوته بدون أمره ولا برضاه فليس بمؤمن ولا موحد واليك ما رواه عبدالله بن عباس رضى الله عنه قال اخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سئلت فاسئل الله واذا استعنت فأستعن بالله وأعلم ان الامة لو أجتمعت على ان ينفعوك بشيء لن ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على ان يضروك بشيء لن يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وفى رواية احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وأعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطئك لم يكن ليصيبك . وأعلم بان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر

يسرى . فالمؤمن الحقيقي بعد الاعتراف بالوحدانية من يتوجه لقضاء حوائجه الى ربه بشرا شر قلبه ولا يتكل على مخلوق سواه لان المخلوق مهما بلغ من الرتبة والمال فأنه لم يزل فى حاجة اليه تعالى ولهذا قال بعض السلف من أراد السلامة فى الدنيا والاخرة فعليه بالصبر والرضا . وترك الشكوى الى خلقه وأنزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وأنتظار الفرج منه فحرمانه عطاء وعقوبته نعماء وبلائه داء وكل افعاله حسنة غير انه طوى علم المصالح عن عباده فليس للعبد الا الاشتغال بالعبودية والتسليم الى القدر .

القتل هدم بنيان الرب :

(قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزائه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنة واعد له عذابا عظيما) ان القتل اذا كان دفاعا عن الدين والعرض أو المال والشرف فذلك جائز شرعا وما عدا ذلك فأن القتل من أعظم الكبائر بعد الاشراك بالله تعالى وهو هدم بنيان الرب عز وجل وتعاطي القسوة الهمجية التى لا يقدم عليها الا الرعاع والاوباش واشرار الناس وليس له جزاء الا غضب الله ولعنته ومقته والخلود فى عذاب الابد كما نصت عليه الاية الكريمة وقد جعل الله جزاء قتل العمد فى الدنيا اخذ القصاص كما قال تعالى ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب لعلكم تفلحون فاذا ما علم القاتل أنه يؤخذ منه القصاص تجنب عن القتل فكان فى أخذ القصاص حياة للباقين من البشر وهذا القصاص فى نظر الشرع انما هو من حقوق الورثة فاذا عفى أحد الورثة يسري العفو الى الباقين هذا في القتل العمد وأما القتل الخطأ فجزائه الدية على العاقلة لا القصاص وهي الف دينار أو مئة بعير ما بين ذكر وانثى او عشرة آلاف درهم مع الكفارة أيضا وهي عتق رقبة مؤمنة او اطعام ستين مسكينا أو كسوتهم فان لم يستطع فصيام شهرين

متتابعين فمن قتل فى معركة المشركين أو قتل ظلما تجاه دينه أو عرضه أو ماله فيصلي عليهم عند أبي حنيفة رحمه الله ولكن لا يغسلون بل يكفنون بدمائهم وثيابهم لقوله صلى الله عليه وسلم زملوهم بكلومهم أي بجراحهم فان الدم شاهد لهم امام الله يوم الفزع الاكبر وروى الترمذي والطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول يأتي المقتول معلقا رأسه بأحدى يديه متلببا قاتله باليد الاخرى تشخب أوداجه دما حتى يأتي به العرش فيقول يا رب هذا قتلني فيقول الله تعالى للقاتل تعست ويذهب به الى النار ورأى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى فى منامه الحجاج بن يوسف الثقفي واذا به جيفة ملقاة على الطريق فقال له عمر ما فعل الله بك قال قتلني بكل قتيل قتلة وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة أما قاتل نفسه فقد أصبح اليوم من المدنية والحضارة المزيفة ويسمى الانتحار فلا يصلي عليه ولا على قاطع الطريق وانهما لجناية عظيمة وجرم كبير قال تعالى (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما) وروى الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا أبدا أي يضرب بها نفسه وقال تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا) اذا صدر منهم القتل فقط (أو يصلبوا) اذا قتلوا واخذوا المال (أو تقطع أيديهم) اليمنى (وأرجلهم) اليسرى (من خلاف) اذا أخذوا المال وأخافوا الطريق (أو ينفوا من الارض) اذا خافوا الطريق فقط وقال أبو حنيفة رحمه الله النفي من الارض الحبس الشديد (ذلك) الجزاء المذكور (لهم خزي) ذل وهوان (في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار اعاذنا الله منها بمنه وبمنه وقال النبي الاكرم

صلى الله عليه وسلم خمس ليس لهن كفارة ألشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المؤمن والتولي من الزحف ويمين فاجرة يقطع مالا بغير حق رواه البخاري (رح) .

الفرار من الزحف يستوجب غضب الرب :

قال تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وما واه جهنم وبئس المصير .

(سورة الانفال) .

ان الفرار من الزحف أو الهزيمة من موقف الجهاد الذي شرعه الله لاعلاء كلمة الله هي محاربة الله والرسول واهباط همم المسلمين لاعلاء كلمة الكفر كما وقع لعبدالله ابن أبي ابن سلول قائلا (لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) .

وكاد ان يكون قول من يدعي ان الجهاد ليس مشروعا ولا جائزا الا ان يكون تحت راية خلافة أسلامية أقرب الى هذا فأن أراد بان الجهاد تحت راية الكفار فلا ريب بحرمته وان أراد تعطيل الجهاد البتة وانها كلمة حق أرادوا بها باطلا بمعنى ان المستعمر اذا أستولى على بلاد المسلمين تكف عن الجهاد ولا يسعنا ان نستخلص بلادنا منه ونرض بالذل والارهاق وهذه الدعوى الباطلة أشد من دعاية القاديانية القائلين بان الجهاد لا يكون بالقوة والسيف بل بالدعاية ورعاية الاقلام ولا ريب فان هاتين الدعايتين ليست مستقاة الا من سفارتين معلومتين (اولئك الذين أشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) مع ان أجماع الامة الاسلامية قام على خلاف قولهما فقد روى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه

قال ثلاثة من أصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن الاسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالاقدار ...
والايات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية العظيمة طافحة بمشروعية ما ذكرنا قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) . فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاخوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين .

(سورة آل عمران) .

وقال تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده اجر عظيم) وقال صلى الله عليه وسلم أني لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة رواه احمد وابن ماجة والاحاديث فى فضل الجهاد والدفاع عن بلاد المسلمين وثغورها كثيرة لا يسعها نطاق هذا المختصر ولكن الواجب على المسلمين مهما شطت ديارهم وبعدت اوطانهم فان الحوادث والكوارث والنكبات التي ألمت بهم من كل صوب وجهة توجب عليهم ان يتيقضوا من نومهم وسباتهم وغفلتهم فهم كبلد واحد وجسد واحد وروح واحدة ولقد بلغ السيل الزبا وضاق الخناق واتسع الخرق وطمع فى بلادنا القوي والضعيف ولقد غزانا الاجنبي ونحن بقعر دارنا بأسم التحرير وبأسم الاصلاح والمدنية المزيفة لافساد ديننا وأخلاقنا وعاداتنا وطمعوا بسلب ثروتنا وأرزاقنا

وأمتصاص دمائنا بكثرة المنكرات والمغريات بلا رادع ولا زاجر (فالويل للعرب من شر قد اقترب) ولقد حذرنا نبينا (ص) بقوله (يوشك ان تتداعا عليكم الامم كما تتداعا الاكلة الى قصعتها قالوا يا رسول الله من قلة نحن يومئذ قال لا أنكم يومئذ لكثيرو لكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن قيل وما الوهن يا رسول الله قال حب الدنيا وكراهية الموت) رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه فالواجب على ملوك الاسلام اينما حلوا وحلت ديارهم وعلى قادة المسلمين ان يوحدوا صفوفهم ويجمعوا شملهم وكلمتهم ليدرءوا هذا الخطر عن بلادهم ويقاوموا جشع هذه الاكلة بأسم السلم والاصلاح وهم السبب الوحيد لاثارة الفتن واراقة الدماء البريئة بين الامم الاسلامية لقد ضاق الخناق وعيل الصبر والمت بنا الخطوب والكوارث ولابد للحق من صولة وللباطل من كبوة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فالاسلام وهو دين الله العالمي في أرضه وسمائه لابد له من الظهور رغم أنف كل جبار عنيد ولابد ان تشع أنواره على كرة البسيطة أجمع وان تباعد عنه وعن تعاليمه أهله وذووه قال تعالى وهو اصدق القائلين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وقال سبحانه وتعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . قال علماء الاصول ان الحكم على المشتق يدل على علية مأخذ الاشتقاق فأنه سبحانه وعد الامة المحمدية فى هذه الاية الكريمة بعدم الاهانة والحزن والخذلان ووعدهم بالعلو على العدو والرفعة والفتح والنصر بشرط الايمان والمحافظة على أحكامه وأصوله وفروعه كما وقع لنبيه صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده من الفتوح والنصر والسيطرة على بلاد كسرى وقيصر فكان ذلك بقوة الايمان ومقاومة الاعداء بفارغ الصبر والثبات والاعتقاد بان من قتل مات

شهيدا ومن سلم منهم عاش سعيدا وفي واقعة اليرموك أرسل قائد جيش الروم مائة بنت من اجمل بنات الروم والارمن وزينهم بأحسن زي وكان غرضه من ذلك أغراء جيش الايمان وأفساده بحجة البيع والشراء وبعد ثلاثة ايام رجعوا بخفي حنين فسئلهم عما وقع فأجابوه لقد أرسلتنا الى جيش رهباني وجدناهم فى النهار صواما وفى الليل قواما فكانوا وايم الله مصداق هذه الاية الكريمة وكانوها والحالة هذه وقد أنجز الله وعده ونصر عبده وهزم المشركين يوم الاحزاب وحده ورفع لواء الاسلام لامته بعده لان الله تعالى وعدهم بالنصر والفتح بالقاء الرعب فى قلوب الاعداء وأمداد من نفحات السماء ما داموا متصفين بصفة الايمان ولن يخلف الله وعده لان الخلف فى الوعد محال على الله تعالى :

يا غيرة الله حلي عقدما ربطوا
وشتتي شمل أقوام بنا أختلطوا
الله أكبر سيف الله قاطعهم
وكل ما قد علو في ظلمهم هبطوا

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الزنا اضاعة الانساب وخرق للنظام الالهي :

قال تعالى ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان الاقتران بالزوجة الشرعية من جملة النعم التى من الله بها على المجتمع البشري فان الرجل المالك للزوجة الشرعية يسعى بكل قواه لتربية عياله وأولاده ويدخر لهم ما يحتاجون اليه سائر سنتهم وكذلك الزوجة تحرص على مال زوجها ولا تخونه لانها تعرف ان المال لها ولاولادها ويعرف الوالد ولده والزوج زوجته والولد

والده وتحفظ الكرامة له قال تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) بخلاف الزوجة الغير الشرعية والعياذ بالله فان بها تضمحل الانساب والمواريث وتفقد الكرامة والفضيلة بين المجتمع البشري ويضيع التناسل والتوالد الفطري فهذه الاسباب هى الحكمة الشرعية فى تحريم الزنا وأنهاغير خافية على من كشف الله عن سريرة قلبه فان تضيع الشهوة التى هى أمانة الله خيانة الله ورسوله وخيانة الزوجة وتبديل للنظم الاجتماعية وأفساد للحكم الالهية وأختلاط للانساب كما هى الحالة بين الحيوانات العجم والبهائم فان الانسان اذا قضى وطره بين الموسمات والغانيات لا تتم هذه الحكم والمصالح لان الهدف الاصلي من اقتران النوع البشري هو النسل والذرية فاذا أختل الامر والحالة هذه أختل النسل وانفصم عراه وضاع الفرض الاصلي والتوالد الفطري واضمحل التوازن الاجتماعي واصبح العالم فوضى كالبهائم واذا كان الامر كذلك وكان لها نسل فمن الذى يقوم بتربيته وتهذيبه وتثقيفه وحفظ كرامته لان والده مجهول الهوية وان أمه كل يوم تقترن بأصحاب لا يهمها حياتهم أومماتهم لانهم عابروا طريق بخلاف الزوجة الشرعية فانها قرينة الحياة حريصة على حياتك وصحتك وتخشى عليك الحوادث والكوارث خوفا من ان تكون أرملة وأولادها يتامى تعيش بعد وفاتك ثكلى تقاسي ألم الحياة . ولا أرى مثلا لمن يتردد على أبواب الموسمات الا كمن يرتوي من اناء فيه ماء ترده الكلاب وفيه أنواع الحيوانات الضارة ونرى كثيرا من هؤلاء ممن أبتلى بالمرض الزهري والسفلس والسرطان والسيلان وتسمم الدم وأمثال ذلك .

اذا وقع الذباب طعام قوم ... رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الاسود ورود ماء ... اذا علمت ولوغ الكلب فيه

قال العلماء الزنا معصية وجرم كبير ومحاربة الله وهتك حرماته وما هو الا كالعسل المسموم أوله حلو وآخره قتل أبدي ونهايته الطرد من رحمة الله تعالى فكان قبيحا قبحا ذاتيا عقليا طبيعيا

لا يقر به الا من نسى اللـــه فأنساه نفسه وأعظم الزنا بالمحارم ثم بالجـار ثم بمن غاب عنها زوجها فقـــد روى الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من وقع على ذات محرم فأقتلوه . وروى الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم قـال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافـــة ان يطعم معك قلت ثم أي قال ان تزانـي حليلة جارك ثم تلى (والذين لا يدعون مع الله الها آخـر ولا يقتلون النفـس التى حرم الله الا بالحـق ولا يزنون) وقال صلى الله عليه وسلم من وقـع على فراش مغيبة أي ألتى غاب عنهـا زوجها قيض اللـــه له ثعبانا يـــوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم من زنا بأمرأة مزوجة كان عليه وعليها نصف عذاب هذه الامة فاذا كان يـوم القيامة يحكم الله زوجها في حسناته هذا اذا كان بغير علمه فان علم وسكت فالجنة عليه حرام لان الله تعالـــى كتب على بابها لا يدخلها الديوث وهو الذى يرى الخلل على عرضه ويسكت وقد جعل الله الحكم الشرعي فـــي المحصنة ذات الزوج الرجم بالحجارة حتى الموت وغير المحصنة مئة جلـدة وعند الشافعي وتغريب عام لان خـير الاحاد يجوز فيه الزيادة علـــى النص عنده ، واما اللواطة فحكمها حكـــم الزنا عند أبي حنيفة رحمه اللـــــه ايجابا أو سلبا وعند الائمة الثلاثـــة يقتل الفاعل والمفعول به أو يرمى مـن شاهق خلاصا من هذا العرق النجس فقد روى ابن ماجة رحمه الله عنـــه صلى الله عليه وسلم انه قال مـــــن وجدتموه يعمل عمل قـوم لوط فأقتلوا الفاعل والمفعول به . وروى الطبرانـي والبيهقي اربعة يصبحون فى غضـب الله ويمسون فى سخطه قلت مـــن هؤلاء يا رسول الله قـال المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات مـــن النساء بالرجال والذى يأتي البهيمـــة والذى يأتي الرجـــال وقـــال (ص) لا تقوم الساعة حتى يخسف بطائفـة من أمتي قيل ومتى ذلك يا رســـول الله قال اذا شربوا الخمور ولبســـوا

الحريـــــر وتكافيء الرجال بالرجال والنساء بالنساء . وأما اتيان المــرأة من دبرها فهو حرام بأجماع الامـــة المحمدية وجميع الكتب السماوية ومن تأمل قوله تعالى (ويسئلونك عـــن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) حكم بان المحل الذى يخرج منـــه النجاسة المستقدرة حرام بالطريـــق الاولى ويسمى هذا عند الاصـــوليين فحوى الخطاب ودلالة النص وهـــو المعني بقوله تعالى (فاذا تطهـــرن فأتوهن من حيث أمركم الله) أي مـن المكان الذي يثمر الزرع والولد لا مـن الارض السبخة التى لا تثمر شـــيئا وعلى الحرمة عمل أهل الحجـاز ومن جاورها من الاقطار الاسلامية ومـــاذكره الجصاص في أحكامه نقلا عـن مالك بجوازه فهو كذب وافتراء عليـه ومن تتبع أبواب الموطيء وأمعن النظـر فيه بجزم بصدق ما ذكرنا وأما قولـه (فأتوا حرثكم انى شئتم) فان كلمـة انى بمعنى كيف أي على أي هيئـــة أردتم مع تعيين محل الزرع ردا علـى اليهود القائلين بان من يأتي زوجتـــه من قبلها مدبرة يأتي الولد أحـــول فكذب الله بهذه الاية دعواهم . ويدل على الحرمة أيضا قوله ولا يقربوهـن حتى يطهرن لان محل القربان واحـد لاغير .

وأما المتعة (بضم الميم) فقـــد نسخها الله تعالى وحرمها في سورتين من كلامه القديم وهي قوله تعالـــى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فأنهـــم غير ملومين) فالمتمتع بها ليســـت بزوجة شرعية لا عرفا ولا عقـــلا ولا ملك يمين ثم قـــال (فمن ابتغى وراء ذلك) أي قضى وطره فى غيرهمـــا (فأولئك) المشار اليهـــم (هـــم العادون) المتجاوزون لحدود الله وقدامر الله الامـــة المحمدية بالاستعفاف حيث قال (وليستعفف الذيـــن لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله مــن فضله) وكانت مباحة فـى صـــدر الاسلام فحرمها الله ونسخها كما حرم الخمر وسائر عقود الجاهلية ونـزل الوحي بتحريمهـــا وحرمة أكل الحمر الاهلية وكانت ناضجة فاراقوها يـــوم غزوة خيبر وهذا الحديث الصـــحيح

رواه البخاري عن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأما عمر رضي الله عنه فأنه بين للناس نسخها وحرمتها وكانوا متفرقين فى القرى والارياف واقره على ذلك حبر الامة عبدالله بن عباس رض الله عنهما وما نقل عنه من الجواز فغير صحيح وليس التحريم بيد عمر ولا بيد من هو خير من عمر وانما التحريم بيد الله عز وجل قال تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) حين حرم مارية القبطية على نفسه فعاتبه الله على ذلك مع ان القائل بجوازها لم يورث الزوجة ولا ولد المتعة وهذا أعتراف منه بان هذا زواج غير شرعي ولو كان شرعيا لورثت الزوجة وثبت نسب الولد المحروم من الميراث مع ما يترتب عليها من المحاذير الشرعية فان الكثير من المتمتعين وعابري السبيل اذا تمتع رجل بأمرأة ربما حملت بأنثى وربما يتمتع بها اخوها أو ابوها بعد مضي خمسة عشر عاما وهو لا يعرفها لان العقد الموقت هذا شأنه واذا قلت لمن يجيز المتعة متعني ببنتك يومين أو اسبوعين يغضب ويقطب وجهه ويتكدر فهذا أعظم دليل على الحرمة وعدم الجواز واو كان هذا العمل مباحا لما غضب واحمر وجهه وأصابه الخجل . لذا يقول (ص) الاثم ماحاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس والكراهة دليل الحرمة ليس الا وأما ما نقل عن آل بيت النبوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا جوازها واباحتها فغير صحيح ومين وافتراء وكذب ولو كان صحيحا لعمل به أهل الحجاز لانهم مصدر التشريع الاسلامي والذين هم اعلم بمذهب أهل البيت من غيرهم لان أهل مكة أدرى بشعابها فلا ترى للمتعة هنالك اثرا ولا خبرا وينكرون اشد الانكار على من يتكلم بها فضلا عن العمل بها والله ولي التوفيق .

الخمرة أم الخبائث ومفتاح الشرور :

(قال تعالى ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) الاية ان بعض الاصحاب اتوا رسول الله (ص) فقالوا يا رسول الله افتنى في الخمرة والميسر أي القمار فأنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الاية فالخمر لغة هو النيء من ماء العنب اذا غلى واشتد وقذف بالزبد وعلة حرمته هو الاسكار وان ما اسكر كثيرة فقليلة وكثيرة حرام وقيس به المتخذ من ماء الذرة والشعير والمتخذ من الاثمار والزروع اذا وجد فيه الاسكار ويجوز ان تسمى هذه الكحول الروحية خمرا لانها تخمر العقل وتغطيه فكان تناولها حراما ذلك لان الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما فاذا وجدت العلة وهي الاسكار في هذه الكحول وجدت الحرمة قطعا وقدنزل فى شأنها آيات ثلاث الاولى قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) فكان بعض المسلمين يشربونها في بدأ الاسلام لانه لم يوجد نص يستوجب تحريمها والبعض الاخر قد تركها لقوله (قل فيهما أثم كبير) وان بعض الاصحاب صنع طعاما ودعا أصحابه فأطعمهم وسقاهم الخمر فصلى بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون يعبد ما تعبدون بحذف حرف النفي فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ثم ان عتبان بن مالك أتخذ وليمة ودعا جماعته وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم مأخذها فافتخروا وتناشدوا الاشعار وأنشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار فأخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فأنطلق سعد الى رسول الله (ص) وشكى اليه الانصاري فقال عمر رض الله عنه اللهم بين لنا فى الخمرة بيانا شافيا فنزل قوله تعالى (يا أيها

الذين آمنوا انما الخمر والميسر) أي القمار (والانصاب قيل هي الاصنام وقيل هي الاحجار التى يذبحون عندها النذور لغير الله والازلام القداح العيدان التى كانوا يستقسمون بها ويتضئلون بها (رجس) أي نجس (من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلكم تفلحون) انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) فيستنبط من هذه الايات الثلاث ان مراحل التحريم تكرر ثلاثا المرحلة الاولى اعلام الناس أن أثمها أكبر من نفعها .. ثانيا ان حالة الاسكار لا تنسجم مع الصلاة المبنية على الخشوع والخضوع لذات الاله .. ثالثا هو النص الالهي القاطع بان هذه الخمرة رجس أي نجس كالدم والبول وان الاجتناب عنها أقوى من النهي ومن النص على التحريم يشهد لذلك قوله تعالى (فأجتنبوا الرجس من الاوثان وأجتنبوا قول الزور) أجل قد وجه لفظ التحريم منصوصا عليه فى قوله تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم) أي حرم الاثم وهو الخمر لان لفظ الاثم أسم من اسماء الخمر قال امرؤ القيس :

فاليوم اشرب غير مستحقب أثما من الله ولا واغل

والذي يشرب هو الخمر وقال غيره :

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول

والذي يذهب العقل هو الخمر ليس الا لانه قبل الاقدام على الشرب تجد حياته العاطفية المزدوجة قبل الشرب بارزا بين أصدقائه وجلسائه لطيف المشعر لين الجانب رقيق القلب ذا نجدة وكرامة ومروؤة لان عقله متمركز فى دماغه لم يطرأ عليه ما يغير وضعه الطبيعي لان العقل نور

يضيء به طريق يبتدأ به من حيث ينتهي اليه درك الحواس لذا يقول (ص) او كما قال أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز علي منك بك اعذب وبك انيب ويقال له الحجر (بكسر الحاء) لانه يحجر صاحبه عن كل ما يخل بالمرؤة ولكن الانسان بعد ان يقدم عليها نجد حاله كحال المجانين أو كالذي يتخبطه الشيطان من المس لا يفرق بين الحسن والقبيح ولا بين الضار والنافع كأنه حيوان وحشي مجرد عن الاحساس والشعور لا يهمه مذاكرة زوجته بواجب البيت ولا يهزه بكاء أطفاله المرضى أو الجياع حوله وربما سرق اثاث البيت ليشتري بها خمرا ليكون سببا لهلاكه وموته فان الكثير من المدمنين قد فارق الحياة فجأة لان الخمرة قد ايبست كبده فيسري الى القلب فيموت بالسكتة القلبية وهذا ما شاهدناه عيانا عدا ما ذكره الاطباء من المضار في كتبهم ورسائلهم كالهز الارتجافي والجنون الكورساكوف وجنون الهلوسة وجنون الهذاء ولكن :

من لم تفده عبرا أيامه　　　كان العمى أولى به من الهدى

فخطر هذا المجرم ليس خاصا بشخصه فحسب بل خطره عام على المجتمع وعلى مصالحهم وتقاليدهم واقتصادياتهم لان المدمن اذا فقد شعوره فقد موازين الحياة ومقاييس الخير والشر وقد سئل قيس بن عاصم لم لم تشرب الخمر قال اكره ان أصبح وأنا سيد قومي وامسي وأنا سفيههم وقد حرمت الحكومات الامريكية المشروبات الروحية المتاجرة بها ومنعت الدخول بها الى بلادها ما يربو عن عشرين عاما لهذه الاضرار الفادحة لانها أم الخبائث ومفتاح الشرور ومذهبة للعقل الذي شرف الله به النوع الانساني فالواجب على الامم الاسلامية حكومة وشعبا ان يحاربوها بكل ما في وسعهم ويبرهنوا على مضارها في جميع مدارسهم

بطريق الحكمة والموعظة الحسنة لان دينهم المقدس قد حاربها أشد المحاربة بعد ان أظهر للملأ بأنها رجس وانها من عمل الشيطان وتزيينه لانه يريد الوقيعة والهلاك فى بني الانسانية وانها قد جربت فى قتل الانسان وموته بالسكتة القلبية لذا يقول (ص) لعن الخمرة وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها وفيها اضاعة المال بهذه الطرق المحرمة كمن يقتل ولده بيده حتف انفه وان فيها حرمان للاولاد من ثمرات سعي الوالدين من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر والنسائي كل مسكر حرام ومن يشرب الخمر فى الدنيا ولم يتب لم يشربها فى الاخرة .

الا يا قوم ليس في الخمر رفعة فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فأني رأيت الخمر شينا ولم يزل اخو الخمر دخالا لشر المنازل

وروي ان شراب شرابي الخمر فى جهنم من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار اعاذنا الله واياكم منها وجعلنا واياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أنه ولي التوفيق .

القمار هدم بنيان الاسرة والعائلة :

قال عز من قائل (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .

تقدم الكلام فيما يتعلق بذكر الخمر والانصاب والازلام وبقي الكلام فيما يتعلق في الميسر وهو القمار واشتقاقه من اليسر وهو أخذ المال بسهولة من غير تعب قال ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في

الجاهلية يقامر على أهله وماله فأيهما قمر أي غلب صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله هذه الاية بتحريم القمار وتحريم أنواعه المألوفة اليوم المعلومة لدى المقامرين تحريما باتا قطعيا وتحريم قربانه وتعاطيه فنهى الباري عن هذا الفعل القبيح وهذه العادات المستهجنة المخلة بالاداب الاسلامية والاخلاق المحمدية وقد انتقل الينا عدوى هذا المرض عن طريق التقليد الاعمى تقليد الاجانب الذين لا يهمهم الافساد أخلاقنا وسلب ثروتنا وأمتصاص دمائنا ولا يرتكب القمار الا ناقص العقل والدين ضعيف الايمان والعقيدة وقد صرح الدين الحنيف بأنه رجس اي نجس وأنه من عمل الشيطان وان اجتنابه على كل مؤمن ومؤمنة أمر قطعي وبذلك وقف السلف الصالح عند حدود الله وكف الناس عما حرم الله وتفرغوا لشؤونهم الدنيوية والاخروية فسادوا وقادوا الناس الى الخير وملكوا البقاع والدول وخضعت لهم الجبابرة والقياصرة ولكن ويا للاسف في آخرها تبدلت أخلاقهم العقلية والثقافية فبدل الله ما لديهم من عز وشوكة وعاد الناس الى جاهليتهم الاولى وحاربوا الله ورسوله واعتدوا على محارم الله لقد ادمن الناس على الخمور وانكبوا على القمار والميسر ادمانا أنساهم ذكر الله انساهم أنفسهم وأولادهم واهليهم وزوجاتهم واصحاب الحقوق عليهم لا يعرفون من الحياة الا الجلوس على مائدة القمار رجالا ونساء فأصبحت حياتهم بين الربح والخسارة وكل منهما شر من الاخر أما ان تخرب بيتك أو تحرق بيت صديقك فالشر موجود في القمار ربحت أو خسرت فالويل وكل الويل لمن خلق ليقتل نفسه أو يقتل غيره ومهمته في الحياة الفساد والافساد . ان القمار بجميع أنواعه محرم بنص القرآن والسنة النبوية وأجماع الامة ولا يستحله الا مارق او منافق . ان القمار السبب الوحيد المؤدي الى الخراب وتدمير البيوت وذهاب المروئة وضياع الكرامة وسوء المنقلب ولعذاب الاخرة أشد وأبقى

فكم من بيوت هدمها أصحابها او باعوها بسبب القمار وكم من أولاد كانوا زهرة الحياة الدنيا أصبحوا فقراء من ابناء السبيل لان اباهم انتحر بسبب القمار . ان الله تعالى خلق الانسان للعمل والجد والسعي فى الحياة لان الحياة جهاد فمن جد وجاهد وجد ومن زرع حصد ولان تدع أولادك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ومن يضيع ماله فى سبيل شهواته كمن يقتل ولده بيده حيف الله وقد جاء في الحديث عنه (ص) ان الله يرضى لكم ثلاثا تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله أمركم ويكره لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال فأي مال اضيع من لعب القمار الذى هدم صروحا وقوض بيوتا عامرة ابصرتها عيوننا ايقض الله الامة من نومها وسباتها انه ولي التوفيق .

الربا محاربة الله ورسوله :

ان الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا الى قوله فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . اخبر الباري تعالى فى هذه الايات العظام بان أكل الربا يبعث يوم القيامة كالمجنون الذى يتخبطه الشيطان من المس او كمثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة لان الربا قد ربا في قلوبهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاسراع هذا وان الباري سبحانه وتعالى لم يحرم الربا الا لامر اقتضته الحكمة الالهية اذ ان مال الربا أخذ مال الغير بغير عوض الامر الذى أراد الله بهذا

التحريم انتظام العالم فيما يهمهم فى أمر معاشهم ولا يتم ذلك الا بالعقود الشرعية من البيع والشراء وسائر الكسب المباح اذ بجواز الربا يختل نظام العالم وتفسد طرق الحياة الاجتماعية التى اراد الله انتظامها ورواجها بين خلقه وعباده بلا حبس للاموال لمنفعة شخص أو فرد فان حبس الاموال الطائلة وصرفها بطريق الربا وحجرها عند البنوك لا يستفيد منها الا النزر القليل من الخلق وذلك السبب الوحيد لاختلال نظام العالم وتعطيل الاكتساب بهذه الطرق الكاسدة والعقود الفاسدة واعدم اتساع طرق الكسب والتداول بين النوع البشري على هذه الصيغة العقيمة المحرمة في جميع الكتب السماوية مع العلم بان الله تعالى لم يحارب أحدا من خلقه الا طائفتين الاولى أكلة الربا حيث قال (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) والفرقة الثانية المعادون لاولياء الله وأحبابه واصفيائه كبغض آل بيت الرسول وصحابته الكرام وبغض العلماء والصلحاء من الامة الاسلامية والطعن فيهم أو سبهم وشتمهم والنقص من كرامتهم والوقيعة فى أعراضهم وانسابهم فقد قال في الحديث القدسي من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وعليه فان الربا هو فضل مال خال عن عوض وهو من البيوع الباطلة التي لا تقبل الصحة بوجه كيف لا وقد قال عليه السلام الحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح والذهب بالذهب والفضة بالفضة مثلا بمثل يدا بيد والفاضل ربا واذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم فكل مكيل أو موزون بيع بجنسه متفاضلا حالا أو نسيئة أي باجل مطعوما كان أو غيره كان ذلك البيع حراما ومالم يكن مكيلا ولا موزونا جاز كبيع تمرة بتمرتين وحفنة بحفنتين وعند الحنابلة لا يجوز ولو قليلا والشافعية لا تحرم التفاضل الا في المطعومات فحسب وجاز عندهم بيع الجص والحديد متفاضلا لانه غير

مطعوم وعلى كل فان الله تعالى قد حرم الربا تحريما تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ويخافونه وان المرابين قد عرضوا نفوسهم لمحاربة الله ومقته وغضبه وثبت حرمته بكتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة الاسلامية فمن قال باباحته فقد كفر وخرج من دين الاسلام كيف لا وقد قال رسول الله (ص) كل قرض جر نفعا فهو ربا وقال (ص) فيما رواه أنس بن مالك رض الله عنه قال خطبنا رسول الله (ص) فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزينها الرجل المسلم وان اربا الربا أي اعظم درجة من الربا عرض الرجل المسلم أي قذفه ورميه بالزنا وهو منه بريء وقال (ص) آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتباه اذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوي الصدق أي المماطل بها والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد (ص) يؤيد هذا ما قاله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل مختال فخور) .

.

ومثل الربا التطفيف والوزن والذرع ناقصا وهو كذلك أخذ فضل من مال خال عن عوض قال تعالى (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس) أي وزنوا لانفسهم (يستوفون) يأخذون أزيد مما تعاقدوا عليه (واذا كالوهم) أي كالوا لهم (أوزنوهم) أوزنوا لهم (يخسرون) يعطون أنقص مما تعاقدوا عليه فهذا النوع من أنواع الربا وكذلك الحكم اذا شدد البزازون وزيروا المذروع وقت الذرع فهو نوع من التطفيف وقد جعل الله عذابهم في ويل وهو واد في جهنم يهوى به الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره ذكره في البحور الزاخرة عن مسند الامام احمد رحمه الله وروى مسلم عنه (ص) انه قال يا معشر المهاجرين والانصار خمس ان أبتليتم بهن ونزلن بكم اعوذ بالله ان تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشى فيهم الاوجاع

التى لم تكن فى أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخـــذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولـــم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا المطــر من السماء ولولا البهائــم لم يمطروا ولا تقضوا عهد اللــه وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوهم فيأخـذ بعض ما في أيديهم وما لم تحكم ائمتهــم بكتاب الله الا جعــل اللـــه بئسهم بينهـــم .

ومن أنواع التطفيف والعقـــود المحرمة الغش فى البيع وشراء المـــال المسروق وأحتكار الطعام والنجش وهو ان يزيد فى ثمن مبيع لا يريـد شرائه ومطل الغنى واتفاق السلعة بالايمـان الكاذبة واعظم من ذلك كله وأشد منه اثما وعقوبـــة تغيير حـــدود الارض والسرقة من أرض الجار روي عـــن عائشة رضي الله عنها أنه (ص) قـال من ظلم قيد اي قدر شبر مـن أرض طوقة الله من سبع أرضين يـــوم القيامة ان الظلم وهو التجاوز علـى حقوق الناس أو قذفهم فى أعراضـهم من أفضع الجرائم دنيا وآخره وان الظلم لا يدوم وان دام دمر كيف لا وقـــد قال عليه السلام أتق دعوة المظلـــوم فأنه ليس بينها وبين الله حجاب .

لا تظلمن اذا ما كنـت مقتدرا   فالظلم آخره يأتيك بالنـــدم
نامت عيونك والمظلـوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

وحبس الحجاج رجلا ظلمـــا فكتب له رقعة فيها قد مضى مـــن بؤسنا أيام ومن نعيمك ايام والموعـــد يوم القيامة والسجن جهنم والحاكـــم لا يحتاج الى بينة وكتب في اخرها .

ستعلم يا نؤم اذا التقينـــا   غدا عند الاله من الظلـــوم
سينقطع التلذذ عـــن اناس   اداموه وينقطع النعيـــم

أما وألله ان الظلم لؤم　　　وما زال الظلوم هو الملوم
الى ديان يوم الدين نمضي　　　وعند الله تجتمع الخصوم

وكتبت السيدة نفيسة (رح) من سلالة الحسن المثنى مخاطبة احمد بن طولون ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم بان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها واكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم أعملوا ما شئتم فأنا صابرون وجوروا فأنا بالله مستجيرون واظلموا فأنا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فعدل لوقته ولم يكن أعدل منه لوقته (رح) .

أكل مال اليتيم جرم عظيم :

قال تعالى (وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فأخافوا عليهم فليتقوا الله واليقولوا قولا سديدا أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) .

يأمر الباري سبحانه وتعالى الامة الاسلامية ان لا تجحف بأموال اليتيم أسرافا وتبذيرا كما لو كان لك أولاد لكنت السبب الوحيد لان تحفظ اموالهم وتخشى عليهم الفقر والفاقة والمجاعة كذلك يجب عليك ان تخشى الله في الذرية الضعاف الذين فقدوا أعز بار بهم وهم آبائهم وأمهاتهم وأصبحوا فقراء معوزين منقطعين يتأملون الرحمة والرأفة ممن يتولى امورهم لانهم فقدوا المولى البار بهم فرحمة أيها الاوصياء ورأفة أيها الاولياء بهؤلاء الذرية الضعاف الا وان لسان حالهم ليناديكم هل من راحم ليتمنا أو مشفق على بؤسنا وشقائنا فأننا نحن الذين أصبحنا فى معترك

هذه الحيـــاة بائسين فاقدين لابائنا الذين هم تحت اطباق الثرا لـــذا يقول الله تعالى ويسألونك عن اليتامى قل أصلاح لهم خير وقـال النبـي الاكرم (ص) والذي بعثني بالحق نبيا لا يعذب الله يوم القيامة من رحـم اليتيم والان له الكلام ورحـم له يتمه وضعفه وقال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشـــار بسبابته واوعد الباري تعالى فى نص القرآن بعذاب الابد لمن يأكل مـــال اليتيم بقوله ان الذين يأكلون امـوال اليتامى ظلما (انما يأكلـون فـــي بطونهم نارا) لانهم قادمون على أمـر متيقن الوقوع (وسيصلون سعيرا) أي النار الموقدة المسعرة نزلت هـذه الاية فى رجـل من غطفان يدعـى (مرثد بن زيد) وقد أكل مال أبـن أخيه وقد ورد في الحديث عنه (ص) ان قال يبعث آكل مال اليتيم ظلمـا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفـه يعرفه من يراه بأكل مـــال اليتيـم فالواجب على الاوصـياء الامنـاء المحافظة بكل ما في وسعهم على أموال اليتيم وان يكونوا أشد حرصا عليهـا من أموال أنفسهم حتى يبلغ رشـده قال تعالى (وابتلوا اليتامى حتـى اذا بلغوا النكاح فان آنسم منهم رشـدا فأدفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوهـا أسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كـان غنيا فليستعفف ومن كان فقيـرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهـم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى باللـه شهيدا وأتوا اليتامى أموالهـم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلـوا أموالهم الى أموالكم انه كـان حوبا كبيرا) والله ولي العصمة والتوفيق .

حقوق الولد وعقوق الوالدين :

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قو انفسكم واهليكم نارا وقودهـا الناس والحجارة عليهـا ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهـم ويفعلون ما يؤمرون) يستنبط مـن هذه الاية الكريمة ان الابناء امانـة الله عند الابوين يجب عليهما ان يربياه على فطرة الاسلام وأنهم مكلفـون

بتربيتهم من تعليم دينهم وتهذيب أخلاقهم وتوجيههم الى عمل الخير والمحافظة على عقيدتهم وسيرة سلفهم وتعليمهم الحرفة الصالحة وعدم تسيبهم ذلك لان للولد حقوقا على الوالد كالنفقة والسكنى والكسوة وهى الحقوق الواجبة وأما المندوبة فعليه ان ينتخب امه ويحسن أسمه ويعق عنه يوم السابع من عمره ويعلمه الحرفة الصالحة ويزوجه اذا بلغ فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء يحسن أسمه اذا ولد ويعلمه الكتاب اذا عقل ويزوجه اذا أدرك وقال صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الاخرة فهذه حقوق الولد المنوطة برقبة الوالد لذا يقول عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء انما ان يضيع من يعول وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع فى اهله ومسؤول عن رعيته والمراة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والغلام راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته يوم القيامة وقال عليه السلام من علم ولده القرآن توجه الله بتاج من نور يوم القيامة فاذا ضيع الرجل من يعوله فهو المسؤول عنه يوم القيامة يوم الفزع الاكبر وان الابناء اذا انحازوا عن جادة الشرع أو الدين أو مرقوا عن الايمان بالله ورسوله كان الوالد معذبا بسببهم ومحروما من رؤيتهم يوم القيامة فقد ورد فى الاثران يعقوب عليه السلام سئل ما هذا البكاء على فراق يوسف وانت نبي الله ورسوله فمثلك اولى بالصبر على المصائب والنوائب فقال اني اخشى ان يتربى في حجر ابوين غير مسلمين وينشىء على ملة الكفر واكون محروما من رؤيته يوم القيامة . فيا معشر الامناء حافظوا على هذه الامانة ولا تضيعوها فان ابناء هذا الزمان قد اضاعوا رشدهم وخرقوا

حدود ربهم حتى جرفهم السيل العرم فأمتص الاجانب دمائهم وسلبوا ثروتهم وبعدأمد قليل سوف تنفذأموالهم ولا ينفعهم الندم بعد هذا الاستهتار وبعد هذا الاسراف والتبذير قال تعالى (واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

وأما حقوق الوالدين على الولد فعظيمة جدا وقد قرن الباري شكره بشكر الوالدين بقوله (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) أي ضعفا على ضعف (وفصاله فى عامين ان اشكرلي ولوالديك الي المصير) فقد قرن الباري شكره بشكر الوالدين فكان الواجب على الاولاد احترام الوالدين والبر بهما وعدم اطالة اللسان عليهما وعدم التضجر منهما أو زجرهما فكن أيها الولد البار رؤوفا بهما ورحيما لهما (لا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) كما كانا يشفقان عليك ويرفقان بك حالة الطفولة ويسعيان لتربيتك وحياتك ولا ينامان حتى ينوماك تذكر الاحسان أيها الانسان البار بزوجتك وأولادك العاق لوالديك تكسو زوجتك المليح الغالي وأمك عريانة وتطعم أولادك انواع الطعام وأمك تبيت جوعانه تلك هي التى كانت تحمل عنك الاذى وتميط عنك القذى وهى التى كانت تظمك الى صدرها وتغطيك بشعرها وتؤيك الى فراشها وان كنت مريضا أومحموما لا تكتحل عينها بنوم كأنها اللديغ المسموم فالواجب عليك رضاهما والبر بهما والدعاء لهما (واخفظ لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا) فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضى الرب في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين وقال عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجد

ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين وشكى رجل والده أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان والدي سلب مالي وأخذ جميع ما أملكه فقال له احضر اباك فلما وقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أنشد يقول مخاطبا ولده :

ربيتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما اسدي اليك وتهمل
اذا ليلة بالسقم وافتك لم ابت
لليلك الا ساهرا اتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دوني وعيناي تهمل
تخاف الردي نفسي عليك وانها
لتعلم ان الموت شيء مسجل
فلما بلغت السن والغاية التي
لها أمل قد كنت فيك اؤمل
جعلت رجائي غلظة وفضاضة
كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للولد أذهب انت ومالك لابيك والله ولي التوفيق .

قذف المحصنات الغافلات المؤمنات أو المحصن :

قال تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا

فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين .

ان الله تعالى حكم باللعن والطرد من رحمته في الدنيا والاخرة واعد خزي الدنيا وعذاب الابد لمن يقذف أي يرمي المحصنة الغافلة المؤمنة أو المحصن المؤمن بالزنا وهو منه بريء وهذه الاية الكريمة وان نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة الصديقة ولكن العبرة كما قال العلماء لعموم اللفظ لا لخصوص السبب فيعم كل مؤمن ومؤمنة من الامة الاسلامية وان حد القاذف المفتري جلده ثمانون جلدة وعدم قبول شهادته ابدا وانه ساقط من حقوق المدنية الاسلامية كما نصت عليه الاية الكريمة ما لم يتب أو يقلع عما يكنه ضميره الفاسد وعقله الكاسد ولا ريب فأن من حسنت سريرته حسنت علانيته ومن خبثت سريرته خبثت علانيته ، وان الاناء لا ينضح الا بما فيه ولله در القائل :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه — وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته — واصبح في جنح من الليل مظلم

والاحرى منه حكمة وتجربة وفصاحة وبلاغة قوله تعالى (والذي خبث لا يخرج الا نكدا) فيا أيتها الامة الاسلامية ان حفظ اللسان مما يحبه الله ويرضاه ، وأن الوقيعة في أعراض المسلمين امر عظيم حرمه الله لذا يقول تعالى (والذي تولى كبره منهم) كعبدالله بن سلول وأمثاله ممن مرق من الدين وزاغ عن سنن المسلمين الى ان قال تعالى (له عذاب عظيم) اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .

احفظ لسانك أيها الانسان — لا يلدغنك أنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه — كانت تهاب لقائه الشجعان

وقال تعالى ويل لكل افاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم .

ان هتك الاعراض وبذاءة اللسان والفتك في نواميس الامة الاسلامية ليست من صبغة أهل الايمان ودينهم وانما هي صفة اهل النفاق ووليدة سوء الاخلاق ومرض القلب وخبث السريرة اذ ان المرء مرآة الرائي يجد عيبه في مقابله كأنعكاس الصورة في المرآة واذا أستحله فهو كافر يحشر الافاكون وأرباب اللسان البذيء في زمرة عبدالله بن أبي سلول رئيس المنافقين وليست هذه الوظيفة التعسة الذميمة الا وظيفة الجبان الفاقد لدينه وضميره ومروئته وان الاناء المملوء نجاسة لا ينضح العسل .

ملكنا فكان العفو منا سجية　　فلما ملكتم عاد بالدم ابطح
وحسبكموا هذا التفاوت بيننا　　وكل اناء بالذي فيه ينضح

واما المسلم المؤمن الغافل المغتاب فأنه كالسحاب لا يضره نبح ولا عويل الكلاب ولاسيما اذا كانت الصلة بين العبد والرب مستمرة متصلة .

فليتك تحلو والحياة مريرة　　وليتك ترضى والانام غضاب
اذا صح منك الود فالكل هين　　وكل الذي فوق التراب تراب

ان صبغة المؤمن المحض طهارة ذيله وطهارة قلبه من درن اللؤم والخبث والحسد فان المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا لا يحمل حقدا ولا بغضا ولا خبثا ولا حسدا لاخوانه المسلمين .

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب
ولا ينال العلا من طبعه الغضب

ولا يجتريء على قذف المسلمين ورميهم والوقيعة فيهم الا مارق منافق ساقط من مدنية الاسلام غير مقبـــول الشهادة قال تعالى (ومن يكســـب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقـــد احتمل بهتانا واثما مبينا) .

وقال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئـــك هم الكاذبون) وقال صلى الله عليـــه وسلم من قال في مؤمن ما ليس فيه اسكنه في ردغة الخيال وهي عصارة أهل النار وعن عبدالله بن عمـــر رض الله عنهما أنه قال صعد النبي صـــلى الله عليه وسلم المنبر فقال يا معشـــر من آمن بلسانه ولم يمض الايمـــــان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبـــــع عورة أخيه المؤمن يتبع الله عورتـــــه ويفضحه ولو في جوف رحله وقـــال صلى الله عليه وســـلم المســـــلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقـــره كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه من ذب عن عرض أخيـــــه المسلم كان حقا على الله ان يعتقه من النار ومن اذل عنده مسلم فلم ينصره وهو قادر على ان ينصره اذله اللـــه على رؤوس الاشهاد يوم القيامة وقال عليه السلام فيما رواه الشيخان مـــن حمى مؤمنا من منافق بعث الله لـــه ملكا يحمي جسده من نار جهنم ومن رمى مؤمنا بسوء يريـــد بـــه شينة أوقفه الله على جسر جهنم حتـــــى يخرج مما قال :

يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا   طرق المودة عشت غـــير مكرم
لو كنت حرا من سلالة طاهر   ما كنت هتاكا لحرمة مســـلم

ومثل القذف جرما واثما الغيبة والنميمة وانهما من أشد الكبائـــر لان توبتهما لا تقل الا بعفو المغتاب وكـــذا التجسس وظن السوء بالمسلم والهمـــز

وهو العيب فى الغيب واللمز وهو العيب فى الحضور والسخرية بأخيك المسلم الذي هو كنفسك لذا يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا أجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن أثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وأتقوا الله ان الله تواب رحيم) .

يأمرنا الباري تعالى فى هذه الاية الكريمة ان يكون المسلمون بعضهم مع بعض كنفس واحدة وجسد واحد وان يحب لاخيه ما يحبه لنفسه وان يجعل نفسه ميزانا لغيره فكما لا يحب ان يظلم أو يسرق او يقذف فمن الانصاف والمروئة ان لا يقدم على ذلك كله لان أخاه المسلم كنفسه لقوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) أي أخاكم المسلم فأنه صلى الله عليه وسلم يقول مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا أشتكى عضو منه تداعا اليه سائر جسده بالسهر والحمى وان الله سبحانه وتعالى يحب من عباده المؤمنين ان يكونوا مثالا للرحمة والشفقة والألفة والاخوة والمحبة وان يحترم بعضهم بعضا وان يقدس بعضهم بعضا فان حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة وان لا يخاطبه الا بأحب الاسماء اليه تطييبا لقلبه وجبرا لخاطره فان واجب الدين الاسلامي يأمرنا بذلك لان المسلمين مهما تفرقوا فهم كجسد واحد ونفس واحدة وأب واحد وهو الاسلام وأم واحدة وهي شريعة خير الانام وكان بلال رض الله عنه يقول :

أبي الاسلام لا ابا لي سواه　　اذا أفتخرت بقيس أو تميم

وهذا هو أدب الاسلام واخلاق اهل الايمان لا غير وينهانا عن

السخرية والاستهزاء بفقراء الامة اذرب اشعث اغبر ذي الطمرين لو اقسم على الله لابره :

لا تهين الفقير علك ان ... تركع يوما والدهر قد رفعه

وكذا التجسس وهو تتبع اعراض الناس هتكا وفتكا اما لحسد أو عداء شخصي أو التنابز باللقب القبيح كأن تقول يا فاسق يا منافق أو تقول لمن أسلم يا يهودي يا نصراني بل الواجب على المسلم ان يحترمه

أكثر من غيره تطييبا لخاطره وقلبه قال تعالى (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا) واما الغيبة فهي تتبع عثراة الناس وذكر مساويهم فى غيبتهم وقد ضرب الله مثلا للغيبة وهي أكل لحم أخيك الميت فكما كرهتم هذا الاكل فأجتنبوا ذكره بالسوء وفى ذلك أشارة الى ان عرضه كلحمه ولا يقدم على ذلك الامريض القلب او ضعيف الايمان .

المرء يعرف في الانام بفعله ... وفعائل الحر الكريم كأصله
لا تستغيب فتستغاب فربما ... من قال شيئا قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها ... ما دمت في جد الكلام وهزله
فالكلب ان حفظ المكارم يقتنى ... وغدا الوزير مسلسلا من جهله

ففي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون ما الغيبة قلنا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وان كان في أخي ما أقوله قال ان كان في أخيك ما تقول فقد غبته وان لم يكن فيه فقد بهته رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فأن الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا

وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا التقوى ها هنا ويشير الى صدره . بحسب امرا من الشر ان يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم رواه مسلم .

شهادة الزور مقرونة بعبادة الاوثان :

قال تعالى (فأجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) وقال تعالى في مدح المؤمنين والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما . ان الله تعالى قرن شهادة الزور مع عبادة الاوثان التي هي الرجس للدلالة على عظم جرم هذه الشهادة التى لا يقدم عليها الا من خان دينه وضميره لاجل ان يقتطع بها مال مسلم بغير حق فان الله تعالى ما قرنها بها الا لكمال الاتصال بينهما في الاثم والجرم وأنها من الكبائر لانها جراءة على الله ورسوله وأضاعة لحقوق الناس وانها جناية وجريمة على الشاهد نفسه والمشهود له والمشهود عليه لانه بواسطتها سيسلب الحق من اهله لغير اهله وهذا هو السبب العظيم لاكل مال السحت والباطل وجريمة على الحاكم أيضا لانه غره وغشه بشهادته المزورة والجاءه على الحكم بغير الحق وبغير ما أنزل الله فالويل لشاهد الزور والعار الابدي لمن يتعاطى هذه المهنة الرذيلة وليس له جزاء فى الدنيا الا التشهير في الازقة والطرقات ومجامع الناس ونهايته في الاخرة جهنم وبئس المصير لذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس ثم قال الا وقول الزور وشهادة الزور الا وقول الزور وشهادة الزور حتى قلنا ليته سكت وكما يحرم شهادة الزور يحرم كتمان

الشهادة لاسيما اذا كانت منوطة بـه لان بكتمانها اضاعة الحقوق أيضا قال تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبـه والله ولي التوفيق .

يوم العرضى على الله :

قال تعالى (يومئذ تعرضـون لا تخفى منكم خافية فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيةأني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عاليـة قطوفهادانية كلوا وشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية وأما من اوتي كتابـه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانـت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانية خذوه فغلوه ثم الجحيـم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فأسلكوه أنه كان لا يؤمن باللـه العظيم ولا يحض على طعام المسكين) ان الايمان بالبعث والنشور والميـزان والصراط والحساب والكتـاب والعرض والشفاعة والجنة والنار والايمان بهـا وبحقيتها متيقن لانها ثابتة بالكتـاب والسنة المتواترة وحدث بها الانبيـاء والرسل الصادقون المؤيدون بالمعجـزة وخوارق العادة أممهم وهم أصـدق الناس لهجة ودعوة وان الامم علـى أختلاف نزعاتها وعقائدها قـد اذعنوالها وجعلوها من أصول دينهم وأصبح الاعتقاد بها من الامور الضـروريةعقلا ونقلا الثابتـة يقينا بالدلائـل القاطعة .

قال سبحانه وتعالى (ويقولـون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغـادر صـغيرة ولا كبيـرة الا أحصاهاووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلـم ربك أحدا) فأنه سبحانه حين خلـق هذا العالم لـم يتركه سدى يرتـع ويلعب حيـث يشاء أو خلقه وأهمله وسيبه كلا فان كل ذلك لم يكن قـال تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثـا وأنكم الينا لا ترجعون) وقال سبحانه

(وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أجل ان الطريق والعرض عليه وانه سبحانه ليحاسبنا على النقير والقطمير والصغير والكبير وهذا هو مقتضى العدل والحكمة فان من البشر من هو القاتل والسارق والزاني والقاذف وقاطع الطريق ومنهم المعصوم من ذلك كله فكيف يتساوى المؤمن والكافر والصالح والطالح وكيف تستوي الظلمات والنور فى هذا العالم دنى هذه الكائنات الدنيوية والاخروية وهو مستحيل عقلا فلابد من العرض على الله للجزاء وأخذ القصاص كيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكم معالم فأنتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فأنتهوا الى نهايتكم وان العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله صانع فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن شبابه لكبره فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للاخرة فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار .

هما محلان ما للمرء غيرهما　　　فأختر لنفسك أي الدار تختار

فلابد لهذه الكائنات من يوم يجازى فيه المحسن على احسانه والمسيء على اسائته قال تعالى ليجزى الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى .

وقال تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) وقال سبحانه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال شرا يره) فحركات العباد خيرها وشرها وضارها ونافعها كلها بعلمه واطلاعه ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السماوات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر

الا في كتاب مبين قال سبحانه (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) وهذا هو اللائق في مقام الربوبية والالوهية ولا ينكر ذلك الا مارق أو منافق ولاريب فان لهذا العالم من يوم رهيب وتشكيل محكمة كبرى امام (الحكم العدل) يقتص فيه للمظلوم من الظالم وللجماء من القرناء (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرا منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة اولئك هم الكفرة الفجرة) هذا وقد روى الامام احمد في مسنده من حديث عبدالله بن انيس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد يوم القيامة عراة عزلا بهما غير مختونين وليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الديان انا الملك لا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل النار وله عند أهل الجنة حق حتى اقضيه منه ولا ينبغي لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة وله عند أهل النار حق حتى اقضيه منه حتى اللطمة قال قلنا كيف ذلك وانما نأتي عراة عزلا بهما قال الحسنات والسيئات وعليه فان ملوك الدنيا قد اتخذوا لتأديب المجرمين سجونا لتأمين راحة الامة والشعوب والاقوام وحفظا للنظام فمن المعلوم بالضرورة ان ملك الملوك ومالك رقاب الامم والعوالم حسب ما اقتضته الحكمة الالهية له سجن يؤدب به الجاني المجرم وهى النار التى وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أعدها الله للكافرين والمجرمين العصاة من عباده كما أنه تعالى أعد للصالحين من عباده جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا رزقنا من قبل

وأتوا به متشابها ولهم فيهــا أزواج مطهرة أي من الحيض والنفاس وكـل شيء مستقذر (وهم فيها خالدون) خلودا أبديا لا تبلى ثيابهم ولا يفنـى شبابهم اعد الله هذه النعم الخالـدة للذين لا يريدون علوا فـي الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين .

خيرته الامة المحمدية :

قال تعالى (كنتم خير أمـة اخرجت للناس تامرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

لاريب في ان المخاطبين بهـذه الاية الكريمة ليسوا الا أصـحاب الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم لان غيرهـم ليسـوا موجودين ولا مخلوقين وقت الخطاب وعليه فـان الامة المحمدية وعلى الاخص منهم صدر الامة لم ينالوا هذه الخيرية التـي امتازوا بها عن سائر الامم الا لانهـا اتصفت بصفة الايمان اولا وكانـت تقاوم المنكرات بدمائها ثانيا واليـك ما قاله عمر رضي الله عنه على منبر المدينة مـن راي منكـم في اعوجاجا فليقومه قام في وجهـه اعرابي بدوي قائلا لو راينا فيك اعوجاجا لقومنـاه بسيوفنا ذلك لانهم كانوا يسارعـون لانكار ادنى المنكرات ولذا اتصفوا بهذه الصفة العظيمـة فمـن المتيقن ان المخاطبين بهذا الخطاب الصحب الكرام الذين اختارهم الله لصحبة نبيـه ونقل دينه وشريعته وكذلك الامـم السالفة فان افضل امتهم أصـحاب انبيائهم كنقباء موسى وحواريي عيسى لذلك أصحاب محمد صلى اللـه عليه وسلم افضلهم العشـرة المبشرون بالجنة ثم اهـل بدر واحد وحنين واهل بيعة الرضوان وكانوا الفـا واربعمائة الذين رضى الله عنهم بقوله (لقد رضى اللـه عـن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فـي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهـم فتحا قريبا) فسماهم مؤمنين بعد ان اطلع على سرائرهم لانه يعلـم خائنة

الاعين وما تخفي الصدور ومن المحال أن يرضى الله عن أمة ويعلم موتها على غير الايمان وقد اكرمهم ومنحهم بأنزال السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا وكان الامام جعفر الصادق (رض) يقول ولدني أبو بكر مرتين لان أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وجدته أم اسامة بنت عبدالرحمن بن ابي بكر فهل يرضى الامام الصادق ان نحكم على جده بالكفر والردة وهولائذ بجوار حامي الحمى وشفيع الامة محمد صلى الله عليه وسلم حياوميتا وعند عامة العرب يسمى اللائذ (كصير) بحمية رئيس القبيلة ويذود عنه ويقاتل دونه فرسول الله (ص) اولى بهذه الحماية وهو القائل انا لها يوم القيامة ولا فخر وجميع الانبياء تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر فمن وصفهم بالردة بعد وفاة نبيهم فقد اصطدم مع القرآن وأما ما استدلوا به في قوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) فانها نزلت يوم غلب المشركون الاسلام وكسرت رباعيته الرسول يوم احد وشاع عند المنافقين ان محمدا قد قتل فقالوا للمسلمين ارجعوا عن دينكم فان صاحب هذه الدعوة قد قتل فنزلت هذه الاية لا كما تدعيه الجماعة من الردة واني سائل القوم عن سمة هذه الردة وصفتها فهل رجع هذا المرتد الى عبادة الاصنام المألوفة لهم سابقا أو اعتنق الدين اليهودي او النصراني كلا وان كل ذلك لم يكن قال قائلهم هذه آثارنا تدل علينا فأنظروا بعدنا الى الاثار أجل ان آثارهم وفتوحاتهم قد امتدت من بحر الادرياتيك غربا الى كاشغر من بلاد الصين شرقا وليس ذلك الا بقوة أيمانهم واتباعهم لتعاليم نبيهم ولله در من قال :

سلوا الايوان ما فعلوا بكسرى   وقيصر والقصور وساكنيها

أجل قد أرتده بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وبنو مدلج وغطفان قوم طليحة الاسدي والقيسي وسجاح بادعائهم النبوة الكاذبة ومنعهم الزكاة المفروضة التى هي أحد اركان الاسلام وأمر معلوم من الدين بالضرورة فحاربهم ابو بكر وقال والله لو منعوني عقال بعير ادوه الى رسول الله (ص) ومنعوني منه لحاربتهم عليه فردهم الى الاسلام وكان رضي الله عنه مصداق هذه الاية الكريمة (يا أيها اللذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) وكان القائد العام لهذا الجيش المحبوب هو سيف الله المسلول خالد بن الوليد (رض) الذى حكم عليه وعلى جماعته القوم بالردة وهو الذي حارب أهل الردة .

فان هذه الامارات الواضحة تدلنا يقينا على ثبات أيمانهم وعلو دينهم وهممهم وحسن سيرتهم وأخلاقهم ولم يورثوا لنا أصناما ولا اوثانا ولكنهم أورثوا لنا القرآن وشيدوا لنا المنابر والمساجد والمحاريب يذكر فيها أسم الله وكلهم مدفونون فى مقبرة واحدة متجهة قبورهم على قبلة الاسلام وهى الكعبة فأين اثر هذه الردة يا ترى .

تالله ما ابعد هذه الردة عن الحقيقة والمروئة والانصاف الا بعد السماء عن الارض وهى الى الوهم والخيال أقرب وأبعد عن الحقيقة والصواب كيف لا وان الامام الحسن عليه السلام وهو الامام المعصوم تنازل عن الخلافة لمعاوية وقلد رقاب المسلمين وأرواحهم وأعراضهم وأموالهم فى عنقه وهو مرتد ، خارج عن دين الاسلام فهل يجوز له التنازل عن الخلافة لمن كان مرتدا وحاشاهما من ذلك والحكم العدل بيننا هو القرآن قال سبحانه وتعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فأن بغت أحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيىء الى أمر

الله فسماهما الباري تعالى مؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأيتم الرجل يعتاد الجماعة فأشهدوا له بالايمان وحين ضربه الخارجي على فخذه وجده قائما في المحراب يصلى اماما بالناس ذكر ذلك جميع المؤرخين وليست هذه الحالة سمة أهل الردة وكيف قبلها ارباب العقول الثاقبة وذلك لان ظاهر الحال لا يصدقهم في تكفير الاصحاب وردتهم لانا نعلم يقينا ان مصدر الدين والقرآن والايمان ظهر من المدينة المنورة وأرض الحجاز واليها الايمان يعود كما قال عليه السلام (ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها أي ثقبها) وفيها نشيء رؤوساء آل بيت النبوة والرسالة وفيها أظهروا الحقائق الشرعية التى تلقوها من جدهم الرسول الاعظم فعمل اهل المدينة حجة قاطعة على العالم الاسلامي اجمع وقد حكمت فيها طوائف مختلفة وانهم منذ عهد النبوة الى يومنا هذا يعظمون الشيخين ويحترمون الصهرين ويقيمون صلاة الجمعة والعيدين ولا يجمعون بين صلاتين ويغسلون الرجلين ويمسحون على الخفين وهذا هو الذي تلقوه عن عظماء آل بيت النبوة وصدر الامة ولم يجوز لنا الشرع ان نلعن كافرا بخصوصه أو نكفر أهل القبلة فكيف نكفر أقواما صاهروا نبينا ودفنوا بجنبه ودعوتهم واحدة ومقبرتهم مع آل الرسول في أرض البقيع واحدة وقد زوج الامام علي (رض) ابنته ام كلثوم لعمر فولدت له ولدا وبنتا وهما زيد ورقية وتزوج الامام علي الحنفية من سبايا أبي بكر وتزوج الامام الحسين ابنة كسرى من سبايا عمر فأنى يسوغ للامام المعصوم ان يتزوج من سبايا رجل أخذ الخلافة ظلما واحكامه غير نافذة شرعا وتزوج الامام الحسن ابنة طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة وزيد بن عمر بن عثمان بن عفان تزوج سكينة بنت الحسين واخوه عبدالله الاكبر ابن عمر بن عثمان تزوج فاطمة بنت الحسين وتزوج ابان بن عثمان ام كلثوم بنت جعفر الطيار ابن أبي طالب وكتب التاريخ والاثار والسير

المشهورة بل المتواترة طافحة بمـــــاذكرنا وأنهم رحماء بينهم فالطعن فيهم خروج عن الطريق المستقيم ومـــن أراد زيادة الاطلاع على ما ذكرنـــاه فليطالع كتاب الزهراء للكفائي النجفي وأمثاله كالكافي والصافي والوافـــي يجد الطعن واللعن والقذف في أصهار الرسول وصحبه وأنصاره ولكنا لـــم نشاهد فى هذه الكتب المنتشرة مـــن يلعن أبا لهب أو ابا جهل أو أبـــي وامية ابني خلف ولا عقبة بن أبـــي معيط أو ابن سلول وهؤلاء هم الذيـــن حاربوا الرســـــول وآذوه واخرجوه من دياره ووطنه ولكن الطعن واللعـن متجه الى من خاطبهم الله بنـــــص القرآن ولم يكن غيرهم حاضرا وقـت الخطاب ووعدهم في الاستخلاف فـي الارض والتمكن في الدين والامن بعـد الخوف وقد أنجز اللـــه وعـــده بأستخلافهم وأمنهم وأيمانهـــم لان الخلف فى الوعد محال علـــى اللـــه تعالى فقال سبحانه (وعـد اللـه الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفنهم في الارض كمـا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهـــم الذى أرتضى لهم وليبدلنهم من بعـد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) فهل كان مصداق هذه الآيـــة الكريمة غير هؤلاء الخلفاء الاربـــع وفيهم علي بن أبي طالب رضي اللـــه عنهم وارضاهم وهم مصداق ما قيل عنهـــم .

اظهروا من محاســـــن الاثار ما يباهي النجوم في الاسحار
لا تسل عن صغارهم والكبـار ما لموسى ولا لعيسى حواري
يون فـــي فضـــلهم ولا نقبـــــــاء

واما قضية الامامة والخلافة فهي دائرة بين أمرين اما ان تكون وراثـــه فالعم وهو العباس اولى بها وأمـــا ان يكون أمرها شورى بين الامة فأهـــل الشورى أنتخبـــــوا من صلى اماما بالمسلمين اربعة عشر يوما بأمر مـــن

الرسول الاكرم قائلا مرو أبا بكر يصلي بالناس فقالوا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اماما لديننا أرتضيناه اماما لدنيانا وعملا بقوله تعالى وأمرهم شورى بينهم وقوله وشاورهم في الامر وتوكل على الله ولم ينلها بماله ولا بسيفه ولا بعشيرته وهم بنو تيم الذين لا يتجاوز عددهم العشرة من الرجال هذا وان الطعن بردة الاصحاب يستلزم الطعن فى صلب الدين الاسلامي ويعطي مجالا لكل يهودي أو نصراني ان يطعن بهذا الدين الحنيف مدعيا ان ثقلة هذا الدين هم صدر أمتكم وقد حكمتم بردتهم وطعنتم في عدالتهم وهذا الدين الذى تعتزون به قد جاء من قبلهم وهم حملته وثقلته فهو مطعون فيه أيضا هذا والذي ندين الله به ونعتقده ان هذا الدين رواه جمع عن جمع بحيث يحيل العقل تواطئهم على الكذب وانه يفيد اليقين والقطع بان رواته كلهم عدول وهم هم الذين شهد القرآن لهم بالخير والفلاح وانهم شهداء على الناس يوم القيامة والشاهد لا يكون الا عدلا وهم الذين قال الله تعالى فى حقهم وهو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا أيمانا مع ايمانهم (سورة الفتح) ان فتح مكة وغيرها من سائر البلاد (ولله جنود السماوات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) فى حق من نزلت هذه الايات القاطعات وهل كان غير الاصحاب موجودا وقت الخطاب ومن [illegible]

وأي ذنب أعظم عند الله من الطعن في صدر الامة الواجب علينا ان نفتخر بأمثال هؤلاء الفاتحين الذين قام بناء صرح الاسلام على اكتافهم وهم أجدادنا ونحن احفادهم ...

اولئك آبائي فجئني بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

ولا خير في الخلف اذا طعن في السلف قال تعالى في مدح المهاجرين كما في سورة الحشر (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانه وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) وقال تعالى فى حق الانصار (والذين تبوئو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقال تعالى فى حق الجائين بعدهم وهم خلف هذه الامة (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) فأن هذه الايات البينات كلها نزلت فى فضائل اهل بدر واحد والطائف وغزوة تبوك وحنين واهل بيعة الرضوان واهل الاحزاب المنزل فيهم (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوازلزالا شديداً) وكذلك عن اهل الفتح اي فتح مكة وكانوا عشرة الاف صحابي الذين نزل فيهم (وكلا وعد الله الحسنى) اي الجنة فأين سمة هذه الردة يا ترى . ليت شعري في حق من نزلت هذه الايات القاطعات ومن الذي كان حاضراً وقت النزول ومخاطبا بهذا الخطاب واذا اريد بها غيرهم فمن هو ذلك الغير وماذا يقول الاقوام في قوله تعالى في سورة التوبة (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بأحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) وقال تعالى في سورة الانفال (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فمن هم الذين جاهدوا وآووا ونصروا غير هؤلاء الاصحاب وان قلنا بردتهم والعياذ بالله لزم تعطيل هذه الايات القاطعات ولقد

جزم القرآن بان هؤلاء المشار اليهم أصحاب الرسول الاعظم هم المؤمنون حقا ولهم المغفرة والاجر العظيم والقول بان عثمان رضي الله عنه تلاعب في القرآن فادخل فيه ما ليس منه فأين الامام علي رضي الله عنه من هذا التلاعب وكيف اقره وهو آخر الخلفاء ادارة وخلافة فان مدعي هذا الافتراء مصادم لقوله تعالى في سورة الحجر (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) أي من التغيير والتبديل وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ومن المستحيل ان يقر الامام كرم الله وجهه ورضي عنه تبدل حرف أو كلمة من كلام الله والامام يقره وهو آخر الخلفاء وهذا هو الذى قام عليه اجماع الامة المحمدية ومهما يكن من أمر فأن الواجب الديني يحتم على كل مؤمن عريق بأيمانه الخالص ان يعتقد بأن الله تعالى أختار محمدا صلى الله عليه وسلم من خيرة الانبياء والرسل واختار له آلا من خيرة الآل وازواجا من خيرة الازواج واصحابا من خيرة الاصحاب وذرية من خيرة الذراري وأمة من خيرة الامم وشاهدة على الامم يوم القيامة والشاهد لا يكون الا عدلا وهو قوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) والشاهد يحتاج الى مزك وهو نبي هذه الامة المعني بقوله تعالى (ويكون الرسول شهيدا عليكم) كيف لا وقد خص الله هذه الامة بمنح وهبات لم تنلها الامم السالفة ولقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا نبي كان يقال للنبي اذهب فليس عليك حرج وقال لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي أنت شهيد على قومك وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي سل تعط وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم وكما روى الامام البخاري عليه الرحمة انه صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي اقوام يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويخونون ولا يؤتمنون ويظهر فيهم السمن ولقد قام اجماع

الامة وشهد بذلك اي القرآن بان صدر الامة خير هذه الامة اولهم السابقون فى الايمان وآخرهم المشهود لهم جميعا بالجنة فى قوله تعالى (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) فان درجاتهم متفاوتة بالافضلية والاسبقية (وكلا) من الاصحاب السابقين واللاحقين (وعد الله الحسنى) اي الجنة (والله بما تعملون خبير) بأيمانهم وهجرتهم وجهادهم لاعلاء كلمة الله وليغيظ بهم الكفار كما في سورة الفتح فهل من المعقول ان يغيظ كسرى وقيصر بخمسة من أصحابه لا غيرهم رضى الله وارضاهم جميعا والايات والاحاديث في فضائلهم ومناقبهم الجمة كثيرة لا يحصيها صرير الاقلام ولو لم يرد في حقهم شيء من ذلك لاوجبت الحالة التي كانوا عليها من بذل المهج والارواح والاموال وقتل الاباء والصبر والورع واليقين القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم وانهم خير امة اخرجت للناس وخير قرون الامم التى بعدهم ووطيد الامل من امناء الشرع وحملة الشريعة تتبع الحقائق وجمع الكلمة وبث النصيحة لعوام هذه الامة وخاصتها كما قال(ص) الدين النصيحة ليكون الهدف الاسمى بين الامم والاقوام والشعوب المحبة والألفة والاخوة واتفاق الكلمة فيما بينهم ورفع البغضاء والشحناء وسوء التفاهم وهو أفضل وسيلة لتقارب المسلمين بعضهم مع بعض فان الاسلام كشجرة عظيمة مغروسة في ارض واحدة وتسقى بماء واحد ولها اغصان مثمرة فحياة تلك الاغصان بحياة تلك الشجرة وموتها بموتها فالاعتصام بكتاب الله والتمسك بسنة رسول الله والعض عليهما بالنواجذ (أي الاسنان) السبب الوحيد لحياة تلك الشجرة والعكس بالعكس والعياذ بالله تعالى .. هذا وان وطيد أملي ممن تحمل هذه الامانة ان يكون هدفهم الاسمى تتبع الحقائق لتكون

اقرب للقبول من ذوي العقول ولقد عثرت على بعض الكلمات ونقل بعض العبارات لمن يدعى جمع الكلمة ويسعى لتوحيد رابطة الامة فانه قال في كتابه ما نصه ان الشافعية يرمون الحنفية بأنهم يجوزون نكاح الولد لامه اذا لف خرقة على ذكره . وان الحنفية يشنعون على الشافعية بان مذهبهم يجوز نكاح البنت اذا كانت من السفاح ثم طفق يعتذر ويوجه كلام الطرفين مع ان نقل هذه العبارات والنصوص الملفقة التي لا وجود لها في كتب المذهبين يعكر سفو جو الوحدة التي يدعو اليها الشيخ .

وكذلك نقله لبعض عبارات الفقهاء التي لا اساس ولا وجود لها في المذاهب الاربع بان المرأة المطلقة اذا جاءت بولد بعد سنتين أو اربع يلحق الولد بزوجها السابق .

مع ان العبارة المنصوص عليها ان الحامل ذات الزوج وهي تحت نكاحه وعلمه بالحمل هل يجوز ان يبقى الحمل في بطن أمه سنتين أو اكثر وطريق الجواز باب واسع فقالوا ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا فمدة الرضاع سنتان والستة الباقية للحمل واوسطه تسع ويجوزان يبقى الولد فى بطن أمه أكثر من ذلك كما وقع للضحاك ونساء ماجشون ولم يعترفوا بان المرأة المطلقة الفارغة من الحمل والتي يستمر عليها عادة النساء من الحيض اذا فارقها زوجها وطلقها وجاءت بولد بعد سنتين أو اربع ثبت نسبه منه فان هذا القول لم يقل به أحد من المذاهب الاربع ولا رأي للمجتهد لدى مورد النص وهو قوله عليه السلام (الولد للفراش وللعاهر الحجر) وكذلك وردت ونقلت مسائل كثيرة ملفقة لا أصل لها في المذهب

انهاها بعض المحققين الى ثلثمائةوبضع عشرة مسألة يذكرها بعض المغفلين أو المغرضين أما دسا أوسياسة كما وضعوا أحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الغاية مع قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأمقعده من النار ولكن الفضلاء من المحدثين عقبوها وفندوها كموضوعاتابن الجوري والسيوطي وملا علي القاري وأمثالهم وجل املي من علماءالاسلام ان يكونوا المثل الاعلى لربط كلمة المسلمين ولم شعثهم ليكونوا قدأدوا هذه الرسالة والامانة والعهد والميثاق المأخوذ عليهم لتبين الاحكام الشرعية الالهية وبث النصيحة والارشاد وان لا يغضوا الطرف عمايتعاطاه العوام من البدع والاهواء التى التى لا أساس لها فى الشرع المحمدي ولم يفعلها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ولا صدر الامةبل يقاومونها أشد المقاومة لانهم أمناء الرسل وورثة الانبياء قال تعالى (ولو ردوهالى الله والى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ولا يعرف الحلال من الحرام الا من يستنبط الاحكام من الادلة فلا يجوز لغيرهم ان يخوض لجاج هذا البحر الزاخر الا المتخصصين لمعرفة استنباط الاحكام من الكتاب أو السنة النبوية فلا يجوز لمهندس أوطبيب وأمثالهم ان يتداخلوا في خوض هذا المضمار كما لا يجوز لهذاالفقيه ان يتداخل في أمر المهندس أو الطبيب والواجب على العوامأمتثال أمر العلماء فيما يخص الشرع وهو أمر سماوي يجب الايمان بهوالاذعان اليه لان هذه الاطاعة هي أطاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم وكان يقال .

ان الملوك ليحكمون على الوري وعلى الملوك لتحكم العلماء

ذلك لان لسان العلماء لسان السماء فاتباعهم والاذعان لهم واطاعتهم واجب ومحتم وينبغي ان يعلم ان الامة أجمع كمثل ظعن (كروان)

اضاع الطريق فى موسم صيف شديدالحر والهاجرة وقد نفـذ زاده وماءه واشرف على الهلاك والمـــوت فجاءه الدليل وارشده الى الطريـــق المفضى الى المطلوب كان ذلك الدليل وهـــم العلماء وورثة الانبياء السبب الوحيـد لحياة هذه الامة من هـــذا المــأزق الحرج قال تعالى (وكنتم علـى شفى حفرة من النار فانقذكـــم منهـــا) فالمنقذ الاعظم هو الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ومن بعده ورثتـــه وخدمة دينه وشريعته العلماء فــان هدفهم نشر الفضائل ومحاربة الجرائم والرذائل وبث الامن واليمن بين الامة والمجتمع البشري لا يريدون من الامــة جزاء ولا شكورا الا طاعة الله ورسوله وامتثال ما أمروا به واجتنـــــاب ما نهو عنه ولقد أحسن من قال :

ما الفضل الا لاهل العلم انهموا على الهدى لمن استهدى ادلاء

أرشد الله الامـــة الى ســـواء الطريق والطريق المستقيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وكان الفراغ من تأليف الكتاب وجمعه فـي اليوم الاول من شهر رجـــب ســـنة خمـــس وتســـعين وثلثمائـــة والف من السنة الهجرية على صاحبها افضل الصلاة وأزكى التحية .

((تـــم الكتـــاب))

بعـون عنايـة الملك الوهـاب

فهرست الكتاب

الصفحة

الصفحة